الفصل الثاني

مظاهر الاتجاه الإسلامي
في أسلوب الطنطاوي

تدل عبارات المرء على عقليته وفكره، وتعكس أخلاقه وطبائعه،حتى قيل: «المرء مخبوء تحت لسانه» و«الأدب معرض لظهور الشخصية»[1].

هذا على خلاف ما يتوهمه بعض الأدباء والنقاد، من أن قصارى الأديب إلزام نفسه بقوانين اللغة في تعبيره غير ملق بالاً إلى أن الإنسان مزيج من روح ومادة؛ إذ هو بذلك يهتم بالجانب المادي في العمل على حساب الجانب الروحي... وغير ملق بالاً إلى أن الأدب ما كان أدباً إلا لاشتماله على شيء من مبادئ التأديب، والتربية»[2].

«ومن هنا فالأديب ذو التوجه الإسلامي يلتزم بإقامة صياغته الفنية على العفة في اختيار ألفاظه؛ لأن ألفاظ اللغة أي لغة لا تصلح بالضرورة لكل موقف، وفي كل حالة.

---

(١) الأسلوب: أحمد الشايب، ص١٢٧، الطبعة الثامنة، ١٤١١هـ ١٩٩١م، مكتبة النهضة، مصر.

(٢) في النقد الأدبي الإسلامي، د/ إبراهيم عوضين، ص١٩٧.

obeikandl.com

فما يصلح للتعامل به مع النساء المتزوجات قد لا يصلح للتعامل به مع الفتيات الصغيرات، فالكلمة قد تجرح الخلق، وقد تخدش الحياء، وقد تحمل من ظلال الأذى في موقف ما لا تحمله منها في موقف آخر، ولذلك قامت اللغة البيانية على الكناية، والتورية، كما قامت على التصريح»[١].

وعلى ذلك «فالأديب ذو التوجه الإسلامي هو الذي يحرص على الكلمة الطيبة، بل يتوجه إليها فطرياً في صياغته الأدبية، فلا مكان في أدبه للكلمة الخبيثة»[٢]، وهو الذي يتخير من الأساليب ما يتناسب مع متلقيه في سمو وإبداع؛ ليحدث التأثير المطلوب.

وللتعرف على مظاهر التوجه الديني في أسلوب الطنطاوي في أدبه، يمكن الوقوف عليه من خلال المباحث الأربعة الآتية:

المبحث الأول: أسلوب الطنطاوي في خطبه.

المبحث الثاني: أسلوب الطنطاوي في قصصه.

المبحث الثالث: أسلوب الطنطاوي في تراجمه.

المبحث الرابع: أسلوب الطنطاوي في مقالاته.

---

(١) السابق، ص١٩٨،١٩٧.

(٢) في النقد الأدبي الإسلامي، د/ إبراهيم عوضين، ص١٩٨.

obeikandi.com

المبحث الأول

أسلوب الطنطاوي في خطبه

الناظر فيما أثر من خطابة الطنطاوي على اختلاف موضوعاتها، يرى أنه كان حريصاً فيها على سلامة أسلوبه من التدني والإسفاف؛ انطلاقاً من توجهه الإسلامي، ومنهجه السديد، ومن هنا رأيناه بعيدًا في تعبيراته وألفاظه الخطابية عما يخدش الحياء، أو يؤذي السمع، أو يثير الاشمئزاز، حتى حينما كان يبلغ به الغضب مداه، والنقد المقذع منتهاه، فله حدود لا يتخطّاها، وألفاظ سامية لا يتعداها، وإن كان تركها أولى، والبعد عنها أنفع، وهى قليلة كنعته للمذيع (أحمد سعيد) بالأحمق السفيه لإثارته العداوة، والوقيعة بين مصر والشام. يقول:

«وكنت أفتح هذه المحطة التي لست أدري لماذا كذبوا فسمّوها «صوت العرب» فكنت أسمع منها الكلام على حكّام الشام، والوقيعة في أهل الشام بلسان هذا الأحمق السفيه الذي اسمه أحمد سعيد، فأحرك الإبرة شعرة واحدة، فأسمع دفاع محطة الشام، والكلام على حكام مصر فآسى، وأتألم لما صرنا إليه»[١].

(١) من خطبه «تأييد الانفصال»، ذكريات علي الطنطاوي، ٦/ ٨٠.

obeikandl.com

والطنطاوي حين يصف انتهاك وعدوان الفرنسيين على أهل الجزائر بقوله:

«... فتصوّروا ما يصيب هؤلاء الناس... والجند قد دخلوا بسلاحهم إلى غرف نومهم، فيطيش الرجل عن أهله، ويقتل الأب أمام بناته، وينال من البنت بحضرة أبيها، والمرأة بعين زوجها، وإن هرب لحقه الموت..»[١] يوقفنا على سلامة أسلوبه، وسموّه البياني بانتقائه من الألفاظ ما يفي بغرضه في سمو وإبداع. فـ «غرف نومهم»، و«يطيش الرجل عن أهله»، و«ينال من البنت بحضرة أبيها» ألفاظ ذات دلالات إيحائية، يصيب بها مقصده دون تدن، أو إسفاف حفاظاً على الأذواق، وارتقاءً بالمشاعر السويّة من جرحها بلفظ خبيث.

وفي التزام الطنطاوي العفة، نراه ملتزماً بالفصحى، محباً لها، حريصاً على نشرها، مؤمناً بجمالها، وكفايتها في بلوغ الغاية، وأداء المطلوب؛ لذلك كان يتوخى الفصاحة مع السهولة، والبلاغة مع السلاسة؛ ليشعر متلقيه بجمال الفصحى، وكفايتها. يقول عن دعوة الإسلام:

«هي دعوة الصدق، والاستقامة فلا يكون المسلم غشّاشاً، ولا شحّاذاً، ولا بطّالاً، ولا فظّاً غليظاً، ولا رخوا ذليلاً»[٢].

---

(١) «في افتتاح أسبوع الجزائر»، ذكريات علي الطنطاوي، ٥/٦٢.

(٢) من خطبة «دعوة الإسلام» فصول إسلامية، ص١٩.

ويصف وقع خبر موت أستاذه عليه بقوله:

«... لقد تحققت أن سليم الجندي مات، فأحسست كأن قد زاغ بصري، وزلزلت أعصابي، ومرّ في أذني نهر هدار ...»[١].

فكلماته هنا تشفّ عما في نفسه: في استقامة أداء، والتزام قواعد، ووضوح معنى، وكأنما كان يتخير من معجمه الثري رحيق الكلمات ونورها في يسر وتدفّق وعذوبة، وخفّة وفصاحة؛ ليبرز جمال العربية، ويثبت كفايتها وقدرتها على تلبية حاجات النفس في أداء ما تريد، وإصابة ما تهدف.

وبذلك نرى أن الصيغة الفنية عند الطنطاوي خطيبا ذا توجه إسلامي واضح، كانت وسيلة اتصال جيد، وأداة تعبير مبين، تؤدّي دورها على الوجه الكامل، دون قصور أو تعثّر، ودون زيف أو كلال[٢].

وإذا كان الأسلوب هو الجانب الأصيل الذي يرتفع بالنصّ إلى مستوى الروائع الخوالد ويميز صاحبه من سواه[٣] فإن هذه الأصالة في أسلوب الطنطاوي الخطابي تنبني على ركائز مميزة بدت في قرب ألفاظه مع سلامتها، وجمال التراكيب مع دلالتها، وعذوبة كلماته مع سلامتها، وخلوّها من السخافة والابتذال، والغرابة والغموض، مما

---

(١) من خطبة «أستاذنا الجندي «من حديث النفس، ص١٣٤.

(٢) في النقد الأدبي الإسلامي، د/إبراهيم عوضين، ص٢١٠.

(٣) مقدمة في النقد الأدبي، د/علي جواد الطاهر، ص٣٣٢، ط٢، المكتبة العالمية. بغداد سنة ١٩٨٣م.

obeikandl.com

جعل منها بجودة سبكه، وبراعة تأليفه لآلئ يصعب تقليدها، ويعزّ على المتمرس احتذاؤها، وتلك هي الروح الساكنة في الألفاظ، التي لا يبعثها ويظهر السحر فيها إلا خطيب أو أديب موهوب، خبير بتأليف الكلام، متذوق لتراكيبه، كخطيبنا علي الطنطاوي ـ رحمه الله.

وهذا يؤكد ما قيل: «من أن تفاوت التفاضل يقع في تراكيب الألفاظ أكثر مما يقع في مفرداتها؛ لأن التركيب أعسر وأشقّ؛ و ألفاظ القرآن من حيث انفرادها قد استعملها العرب ومن بعدهم، ومع ذلك فإنه يفوق جميع كلامهم، ويعلو عليه وليس ذلك إلا لفضيلة التركيب»[١].

كما يُلاحظ أن الطنطاوي في حرصه على أداء رسالته، وتوصيل دعوته، لم يتقيد بأسلوب واحد، بل نوع بين أساليب الخبر والإنشاء منتقلاً في ذلك بين الرقّة، والقوة، والاستعطاف، والاستهجان حسبما يقتضيه المقام، وتتطلبه الحالة النفسية لمعالجته.

فمن ينظر مثلاً في خطبته «دعوة الإسلام» يلاحظ هدوء الأسلوب، ورقة العبارة، وعذوبة الألفاظ، وغلبة الخبرية عليه؛ لأن ذلك هو الأسلوب الذي يتناسب مع موضوعه الذي يدور حول الإشادة بالإسلام، وعرض مزاياه والتعرف على حقائقه. كقوله:

«...إن من معجزات الإسلام أنه سبق عصره سبقاً طويلاً، فصنع أمة ليس لها في وحدتها نظير من أمم شتى، مختلفة ألسنتهم،

---

(١) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ابن الأثير، ج١، ص١٥١، طبعة المكتبة العصرية. بيروت، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م.

obeikandi.com

وألوانهم تجمعهم كلمة «لا إله إلا اللّه محمد رسول اللّه» والقبلة البيت الحرام»[١].

أما الأسلوب الآخر فيمثله خطبته في مساندة الجزائر، التي يلاحظ على عباراتها غلبة القوة والضخامة، وعلى ألفاظها الصخب والضجيج، وعلى أسلوبها غلبة الإنشائية من نداء، وتعجب، واستفهام، وأمر، ونهي، واستنكار، يتناسب مع نفسه الثائرة، وعاطفته المتأجّجة بما يحدث للجزائر، ويتلاءم مع موضوعه الذي يهدف من خلاله إلى تعميق الشعور بمعاناة الجزائريين، واستنفار الهمم نحو المشاركة، والتعاون، كقوله منها داعياً إلى اليقظة، والمقاطعة:

«...وإن المال الذي يأخذه منا الغربيون ثمن سيارات البذخ، وأحمر الشفاه، وعطر الإغراء، وهاتيك السموم التي اسمها (الشمبانيا، والويسكي) كل ذلك يتحول ثمن رصاص يستقر في صدور هؤلاء الإخوان، وثمن قنابل تدمّر دورهم، وقراهم.

فهل سمعتم بأمة تعين عدوها على نفسها!؟

هل سمعتم بأمة تعيش في الحرب مثل عيشها في السلم!؟

هل سمعتم بأمة تنام على دويّ المدافع!؟»[٢].

فالطنطاوي بهذه العبارات وما تحمله من مشاعر دفاقة، خطيب

(١) دعوة الحق «فصول إسلامية»، ص١٥.

(٢) هتاف المجد، ص٢٢٥، ٢٢٦.

obeikandi.com

المعركة الذي يحرض المؤمنين على القتال، والنهوض لاستعادة العزة، والكرامـة، والمجـد ضمن إمكانيـات الحاضر بكل طاقـة، متوخياً في ذلك العبارات الموحية، والصور المؤثّرة التي تهز النفس من الأعماق، وتحملها على الاستجابة لما يريد عن إيمان، واقتناع[١].

كما تلاحظ موهبة الطنطاوي، وبراعته التي أحسن استغلالها في استمالـة جماهيره، خاصة في مقدمات خطبه التي حرص ـ دائما ـ على تضمينهـا بما يثير الانتباه ويستعطف القلـوب، ويتناسب مع موضوعه؛ ليحقق بذلك الإقبال عليه برغبة وانتباه.

كمـا أن استلهام الطنطاوي للأسلـوب القرآني واضح في تجميل أسلوبـه بـكل وسائل التأثير التي تسهم في تلبيـة غرضه، والوصول إلى غايته، ومن هنا كان أسلوبه في خطبه يموج بروائع التعبيرات البلاغية، والمحسنـات البديعية، التي جاءت عفو الخاطر حين اقتضاها المقام، فنبهت الذهن، وثبتت المعنى، وحركت الوجدان؛ إذ إن هذه المحسنات من شأنهـا أن تحدث تماثلا صوتيا، وتـردّدا موسيقيا يكون أساساً من أسـس عرض الدعـوة، وطريقاً من طـرق الإثارة، ووسيلـة من وسائل التأثيـر، ما لم يثقلهـا الخطيب بالتكلّـف، والثقل الذي ينفـر منها[٢].
كقوله في إحدى مقدمات خطبه رداً على تصفيق الجماهير:

---

(١) الأدب الإسلامي «الشيخ علي الطنطاوي الخطيب الأديب»/ عبد الباسط أحمد، ص٩٧. العددان (٣٤-٣٥).

(٢) مقدمـة فـي دراسة الأدب الإسلامي، د/ مصطفى عليان، ص١٥١. ط١، دار المنارة، جدة سنة ١٩٨٥ م.

«شكـراً يا سادتي وعذراً، فـإن هذه التحية النبيلة، وهذا التصفيق الـذي ينبعث من القلـب هزة حب تحـرك الأعصاب، وتطلـق الأيدي؛ لتستحـق خطبة من تلك الخطب العبقريات التـي تبدل نفوساً بنفوس، وتحول السامعين من حال إلى حال، وتتلاعب بالأفئدة والقلوب، وتسعر الدم في العروق، وتصب العزم في الأعصاب»[١].

(١) «في افتتاح أسبوع الجزائر»، هتاف المجد، ص٢١٥.

obeikandl.com

obeikandl.com

المبحث الثاني

أسلوب الطنطاوي في قصصه

الناظر في أسلوب الطنطاوي القصصي يراه ملتزماً فيه بالفصحى في سلامة الأداء، ووضوح الدلالة، وسمو العبارة، ومن هنا نراه في قصصه التاريخية، وإن كان قد استقى مادتها من التاريخ لميزة تجعلها صالحة للبقاء والحياة، إلا أنه قد حول هذه المادة التاريخية إلى عمل فني أمدّه بالخيال المعتدل، وأعمل فيه فكره وقلمه؛ للربط بين أحداثه، وتنسيقها، وعرضها عرضاً قصصياً جذاباً دون خروج على أصله التاريخي المعروف في محاولة منه لاستلهام العبرة، واكتساب القيم من تراثنا الإسلامي بأصالته وعراقته، وملاءمته لأخلاقنا وطبائعنا.

وقد جمع الطنطاوي ما يمثّل هذا المسار في كتابه «قصص من التاريخ»، ويلحق به ما خصّصه للأطفال في سلسلة «حكايات من التاريخ» والتي رأيناه «يحاول فيها التقاط مواقف للمسلمين الأوائل تنبئ عن عظمتهم، ثم يمزجها بخياله، وما يصوغه من أحداث قد تأخذ سمة الواقع فيتواكب الجانبان: التاريخي، والواقعي في الكشف عن عظمة الأوائل وما يتمتعون به من قيم جديرة بأن تنهض بالواقع المعيش كما في قصة «ابن الحب» وهي إحدى قصص هذه المجموعة،

بل قد نجده ـ أحياناً ـ يستخدم الصيغة التراثية كما هي، فتضفي على أسلوبه إشراقاً وبهاءً، وهو يشير إلى ما يستخدمه على هذا النحو بأمانة؛ حيث يذكر مصدره ورقم الصفحة فيه»[١].

وأما عن قصصه التي استقاها من الواقع لمعالجة قضايا المجتمع، فرأيناه ملتزماً بمساره الإسلامي في معالجة هذا الواقع معالجة إسلامية تحثّ على الخير، وتجمّل الفضيلة، وتحذّر من الشر، مقبحة الرذيلة بأسلوب فصيح عفيف يرتفع بالأذواق، ويرتقي بالأفكار.

ولقد كان هذا النهج في أسلوب الطنطاوي القصصي منطلقاً من توجهه الإسلامي الذي يشعره بأن الأديب المسلم مسؤول عن بناء مجتمع نظيف، مجتمع يقوم في أساسه، وجميع مراحله على الإسلام، يأخذ المادة من الحياة، ولكنه يبنيها بالطريقة السليمة، كما علّمه الإسلام؛ فإذا تشابه البناء في زاوية أو جانب مع أي بناء آخر، فلا يكون ذلك لتأثره بالفلسفات الوضعية؛ بل لأن هذه الفلسفات أصابت في هذه النقطة بقصد أو غير قصد»[٢].

ومن هنا يشير الطنطاوي أنه لم يراع العناصر الفنية للقصة، ولم يهتم بالمذاهب المسلوكة فيها، ولم يفكر في ذلك بل جرى فيها على طبعه وأسلوبه، هادفاً الغاية الإسلامية؛ لذلك نراه لم يرتبط بمنهج

---

(١) الأدب الإسلامي قضية وبناء، د/سعد أبو الرضا، ص١٠٧، ط١. عالم المعرفة. جدة ١٩٨٣م.

(٢) في الأدب الإسلامي المعاصر.. دراسة وتطبيق، محمد حسن بريغش، ص٣٢، ط٢، مكتبة المنار. الأردن، ١٩٨٥م.

obeikandi.com

القصصيين، وإنما الذي عناه هو المنهج الإسلامي في سلامة التناول، وإبـراز القيم الجمالية، والخلقية التي تقبّـح الشر، وتنفّر منه، وتجمّل الخيـر و تحسّنـه، دون اهتمـام بالشكل القصصي بعد ذلـك، آتّفق مع العناصـر الفنية أم خرج عليها!؟ مركّزاً اهتمامه على الغاية الإسلامية منهـا، وحسن طريقته في الوصول إليها، مؤكـداً هذا الهدف بقوله في نهاية مجموعته «قصص من الحياة»:

«وكل ما أرجوه أن تثير هذه الفصول في نفس قارئها عاطفة من عواطف الخير، أو فكرة من أفكار الحق، وأسأل الله أن يتجاوز عن ذنوبي»[١].

بهـذا الهـدف السامي، والرجـاء الحاني، والأسلـوب الراقي كتب الطنطاوي قصصه وقدّمها إلى قارئه.

فإذا أخذنا أسلوبه في قصة «تاج كسرى» مثالاً لقصصه التاريخي، رأيناه الأسلوب الفصيح الواضح... الذي تحمل عباراته دلالات مجازية، وإيحاءات تملأ النفس إحساساً بعظمة الحدث، واقتناعاً بصدق النبوة، يقول الطنطاوي:

«قال عمر: هلمّ يا سراقة... أتذكر خبر الغار، وسواري كسرى؟

قلت: نعم.

قال: قد أذهب الله بالإسلام مُلك كسرى، فلا كسرى بعد اليوم.

---

(١) قصص من الحياة، ص٢٢٢.

obeikandl.com

هات يديك! فألبسه السوارين، وقال: ارفعهما فقل: اللّه أكبر، الحمد للّه الذي سلبهما كسرى بن هرمز، وألبسهما سراقة بن مالك أعرابي من بني مُدلج.

يا سراقة لقد انتصر المهاجران على كسرى وقيصر، وكان لهما ملك الأرض.

يا سراقة لقد أضاء النور الذي انبثق من بطن مكة إلى الدنيا جميعاً.

يا سراقة لقد ظفر الغار بالعراق، والشام، وغلبت الصحراء العالم.

يا سراقة لقد كان ملك كسرى وقيصر كبيراً وقويًّا، ولكن اللّه مع الذين آمنوا، واللّه أقوى يا سراقة.. اللّه أكبر!»[1].

ويُلاحظ أن الطنطاوي في هذه القصة اكتفى في عرضه بما يبرز الهدف، مع تركيزه فيها على الأحداث الموفية بالغرض المنشود.

فقد بدأت باستعداد سراقة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لنيل الجائزة، وانتهت بلبسه سواري كسرى. متجنباً فيها الإطناب، والتفاصيل، والاستطراد، إلا بمقدار ما يخدم هدفه في إبراز ما يريد، وقد جاءت التوجيهات عقب القصة على لسان عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(١) «تاج كسرى» قصص من التاريخ، ص٢٢٢.

obeikandl.com

وعرضت القصة عرضاً مباشراً بلا تقديم ولا تلخيص كتم فيه الطنطاوي سرّ المفاجأة عن البطل وعنا، حتى كشفه لنا في النهاية بعد تشويق وترقّب، مستلهماً في كل ذلك الأسلوب القرآني في عرض قصصه.

ومن هنا فإن هذه المجموعة القصصية «قصص من التاريخ» توضّح كيفية توظيف القصة التاريخية؛ لبعث القيم الإسلامية، والإفادة بها في تحقيق أهداف دعوية تُعلي من شأن القيم الإسلامية، وتكشف عن عظمة الشخصيات المتمسكة بها في تحقيق نجاحها، ونيل طموحها، وكأني به يريد أن يقدّم من خلال ذلك القدوة المرجوّة، والنموذج الإسلامي المُبتغى قولاً وفعلاً، في وقت كانت وما تزال تحتاج فيه الأمة إلى هذه القيم، والاقتداء بتلك الشخصيات كي تتقدم، وتزدهر، وتحقق ذاتها، حتى يكون حاضرها امتداداً لماضيها[١].

وإذا أخذنا أسلوب الطنطاوي في قصة «وزارة بعنقود عنب» كمثال لقصصه التي قدّمها للأطفال، نلاحظ أنه ساقها لهدف ديني، وغرض تربوي، يرتقي بفكر الطفل وسلوكه، ويهيئه لاستقبال غده بذخائر ماضيه ومآثره.

ومن هنا عرض القصة مركزًا على الأحداث التي تفي بأهدافه المقصودة، وتحقق غاياته المنشودة، وبالقدر الذي يبلغ العظة من

---

(١) الأدب الإسلامي «قصص الشيخ علي الطنطاوي بين الدعوة والفن» د/ سعد أبو الرضا، ص٢٤ العددان (٣٤-٣٥).

عرضها، فلم يعرض ما لا حاجة له كتفاصيل الطفولة، والنشأة مستلهماً في ذلك النهج القرآني في عرض قصصه بما يتناسب مع غرضه[١].

وقد جاءت توجيهات الطنطاوي في ثنايا القصة ونصائحه ممتزجة بسياقها.

من ذلك قوله حكاية عن ابن هبيرة:

«فقلت لنفسي: أدخل فأصلي فيه ركعتين، وأسأل الخالق أن يغنيني عن المخلوقين. فدخلت فصليت، ودعوت اللّه وكل من دعا اللّه صادقاً في التوجّه واثقاً من الإجابة، لا بد أن يُستجاب دعاؤه، فيعطيه اللّه ما يطلب، أو يعوضه عنه خيراً منه»[٢].

وقد بدأ في هذه القصة بذكر عاقبتها ومغزاها، ثم بدأ في عرض القصة بعد ذلك من أولها، وتفصيل خطواتها التي وصلت لهذه النهاية العجيبة، وقد تشوقت النفس إليها.

أما في نهاية قصة «التاجر والقائد» فقد أحالها إلى تمثيلية؛ إذ نراه بدأ بما ينبّه على بدء العرض، ثم ترك القصة تتحدّث عن نفسها بواسطة أبطالها.

وقد استخدم الطنطاوي طريقة السرد الذاتي الذي يكون بصيغة

---

(١) دراسات في البيان القرآني من الوجهة الأدبية، د/عبد القادر رزق الطويل، ص١٧٦، طبعة دار البيان القاهرة ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

(٢) «وزارة بعنقود عنب»، ص١٤.

openkanz.com

المتكلم؛ حيث أجرى القصة على لسان إحدى شخصياتها، ومن هنا كان من السهل تقرير رأي، أو فكرة في سياق القص دون هتك للنسيج القصصي[١].

ويُلاحظ استخدام الطنطاوي للفصحى كونها أداة قريبة من لغة الشخصيات التاريخية التي تتحدث إلينا، أو يتحدث الكاتب على لسانها استخداماً قريباً يتوافق مع مدارك الطفل ومستواه اللغوي، والثقافي، وإن أورد الكاتب بعض الكلمات التي تصعب على إدراك الطفل، فيقصد إثارة ذهنه؛ للتعرف عليها واكتشاف معناها؛ ليضيف إلى رصيده اللغوي ما يرتقي بمستواه الثقافي، والمعرفي.

مثل كلمة «مدنف»[٢]، «وقافلين»[٣]، و«غائر»[٤]، و«شاخص»[٥]، و«تنكأ»[٦].

ونراه يهتم بوضع عنوان عام لقصصه، يتوخى فيه الجاذبية والتشويق، والدلالة الواضحة على ما تحتويه من أحداث، فاختياره لهذا

---

(١) القصة القصيرة دراسة ومختارات، د/الطاهر أحمد مكي، ص ٧٩.

(٢) الدنف: المرض الملازم المخامر، ومدنف: براه المرض حتى أشرف على الموت. (لسان العرب. لابن منظور، ج ٩ ص ١٠٧).

(٣) القفول: الرجوع من السفر (السابق ج ١١، ص٥٦٠)

(٤) غار الماء غوراً: ذهب في الأرض وسفل فيها (لسان العرب، ج٥، ص٣٦).

(٥) شاخص الطرف: طامحه، وشخص به: أتى إليه أمر يقلقه (السابق ج٧، ص٤٦).

(٦) نكأ: نكأ القرحة نكأً: قشرها قبل أن تبرأ فنديت، وأنكأته: أي أخذته. (لسان العرب ج١، ص١٧٣، ١٧٤).

obeikandi.com

العنــوان «وزارة بعنقود عنب» يثير كثيراً مــن الدهشة والتساؤل، فيكون ذلك مصدراً لجذب القرّاء والإقبال عليها ومعرفة خبرها.

ويكثـر الاعتماد على الصـورة الأدبية، والألفـاظ المثيرة للمعاني الحسيـة؛ وذلـك لصعوبـة إدراك الطفـل للمعاني المجازيـة؛ لذا كان يتحاشاها، وإن وقع له منه شيء فسّره بالهامش[١].

كما اهتـم الطنطاوي بضبط الكلمات بالشـكل؛ ليتعود الطفل من خلال ذلك على النطق الصحيح الذي يقوّم لسانه، ويجنّبه الخطأ، كما لـم يجنح كاتبنا إلى الخيـال في قصته إلى الحد الـذي يخرج بها عن الإقنـاع، أو الشك فيها، بل نـراه حريصاً على تأكيد صدقها، وواقعيتها لغة، وشخصيات، وأحداثاً، وزماناً، ومكاناً.

وبصفـة عامة تُسيطر على القصـة الروح الإسلامية التي تبدو في إرسال هذه القيـم السامية من خلال شخصيات مسلمة مرّت بأحداث وابتـلاءات، فكانـت تتعامل معها تعامـلاً إسلامياً تنتصـر فيه للدين، وتقـاوم الضعف والهوى، واثقة بعطـاء الله وعونه لمن أطاعه، وأخلص له.

ولا شـك أن القصة أشادت (بابن هبيرة) كشخصية تاريخية كان لهـا وجود في الحيـاة، وجعلت منه إنساناً يستحـق الإعجاب والتقدير. وهـذا يدفع الطفل مـن ثم إلى التطلّـع للتعرّف عليه، فيكـون التعريف

---

(١) «وزارة بعنقود عنب»، ص٣٥.

openiland.com

(بابـن هبيرة) بعد انتهاء القصة أوقع في النفس، وأثبت؛ لوقوعه منها موقع الجواب بعد البحث والطلب.

وقد أثبت كاتبنا التعريف (بابن هبيرة) في نهاية القصة؛ ليضيف إلى ما سبق تعريف النشء بعلماء المسلمين، ودورهم في بناء حضارته الإسلامية؛ وليكون ذلك أثبت لواقعية القصة وصدقها.

ومـن خـلال كل هذا جـاءت القصة في ثـوب أدبي رقـراق، يموج جمالاً في الأسلوب والتناول، وجلالاً في البناء والمضمون، مما يستولي علـى لبّ الطفل، ويقـوده إلى الرغبة في سماعهـا وقراءتها، بل وإعادة سردهـا على أهلـه وأصدقائـه، تاركة الأثـر النفسـي والتربوي الذي يقصـده كاتبنا، ويهدف إليـه. وكأني بالطنطاوي يهدف من خلال هذه المجموعـة «حكايات من التاريخ» التـي لم تزد على سبع قصص، يريد أن يقـدم للكُتّـاب ـ الذين أغرقـوا أنفسهم في عالم الجـن والعفاريت، أوالوهـم والإثارة ـ النموذج الأمثـل لقصص الأطفال، والتي تهدف إلى غرس القيم، وإثراء المعرفة، وتهذيب السلوك، وتنمية الملكات بأسلوب شيق عذب، وبمهارة فنية جذّابة تحقق غرضها المنشود.

وإذا أخذنـا أسلوبـه فـي قصة «بنـات العرب فـي إسرائيل» مثالا لقصصـه الاجتماعـي، نـراه استخـدم ـ أيضـاً ـ الفصحـى فـي قرب وسلاسة، وانتقاء للفظ المعبّر عن المعنى المراد. وألفاظه عفيفة، وإن جاء فيها ما يثير الخيال للتعبير عن مواقف حرجة، ففي عبارات قليلة، وحدود ضيّقة، لا تجرح الحياء. كقوله:

«وجـاء النـادل (الكارسون) يقـدّم إليّ فتاة جرفتُهـا ببصري في لمحــة واحــدة، وجردتهــا بخيالي من ثيابها فــي ثانيــة، فرأيتها عارية أمامــي، وجمحــت بــي الغريزة، حتى لا أقــدر على الصبــر عن عناقها دقيقــة، وعن ضمّها إلــيّ، وعن أن أشدّ يدي عليها، ثــم آكلها عضاً ولم تكن فتاة، ولكنها فتنة في ثوب امرأة»[١].

فالطنطـاوي لـم يقصد بهذا المشهـد إثارة الغريـزة، أو تحريك الشهـوة، وإلا لما اكتفى بهذه العبارات الموحية، وإنما كان مقصده من ذلك أن يكشف للمرأة عن طبيعة الرجل، ويفضح ما في نفسه تجاهها، لتتوخى الحذر منه، وتعرف تربصه بها.

ومـع نُبل هذا الهدف الـذي أعلنه في بعض مقالاته وحوّله هنا إلى «معـادل موضوعـي»[٢] من خلال هذه الشخصية، نـراه لا يسوغ أن تقع هذه القصة وما شابهها في أيدي الشباب والشابات؛ خوفاً من أن يكون قد قصد بها الإصلاح فأفسد[٣].

وقـد اهتـم الطنطاوي فـي قصصه تلـك بالأسلـوب التصويري،

---

(١) «بنات العرب في إسرائيل»، قصص من الحياة، ص١٩.

(٢) المعـادل الموضوعـي: يعنـي تحويـل المشاعـر المجردة إلـى أشيـاء واقعية كما يقـول إليوت: إن الطريقــة الوحيــدة للتعبيــر عــن المشاعر فنياً، هــي إيجاد موقــف أو سلسلة مــن الأحداث والشخصيـات التي تعد (المقابـل) المادي لتلك العاطفة أو الموضـوع. (المصطلحات الأدبية الحديثة، د.محمد عناني، ص٥٤، ط٢، الشركة المصرية العالمية للنشر، ١٩٩٧م).

(٣) «بنات العرب في إسرائيل»، قصص من الحياة، ص٨٠٧.

والإيحائي الذي يبرز ملامح الشخصيات، وأبعاد الأحداث، ودلالات الألفاظ، وكأنها لوحات تنطق بالحركة والحس، والحياة.

ويلاحظ أن الطنطاوي قد عرض قصته - أيضاً - بالقدر الذي وفّى بغرضه منها، ولم يعرض من التفاصيل إلا بالقدر الذي يعمّق الإحساس بمأساة هؤلاء الفتيات، ويبيّن قسوة اليهود، وتخاذل المسلمين، مستعيناً في ذلك بأسلوب كفل له سهولة التعبير عن كثير من خواطره وأفكاره، وهو ما يطلق عليه «أسلوب السرد الذاتي» الذي يكون بصيغة المتكلم على لسان إحدى شخصياته؛ لتأتي التوجيهات والنصائح في أثناء سياق القصة على لسانه.

وقد أخفى الطنطاوي سرّ هذه الفتاة عنا وعن البطل، فلما كشفه، كان وراءه سر آخر أعجب منه بدأت الفتاة في كشفه شيئاً فشيئاً، بعبارات مثيرة، وأسلوب مؤثّر.

ولم يُسمّ الطنطاوي شخصياته؛ لأنه أراد أن يجعل منها قصة عامة تصدق على كثيرين، وليست قصة فتاة بعينها، وهذا من شأنه تعظيم الفجيعة، وتضخيم الأثر.

وهذا مثال لأسلوب الطنطاوي من تلك المجموعة القصصية التي يؤكد بسيره فيها سلامة اتجاهه الإسلامي في قصصه، حتى إنه لم تكن تعنيه العناصر القصصية بقدر ما تعنيه القيمة الأخلاقية، والرسالة الإنسانية الإسلامية التي يوجهها من خلال ملامح الشخصية، وما تتعرّض له من أحداث؛ ليكشف بهما عن أغوار النفس الإنسانية

وهـــي تواجه محن الحيـــاة، ومتغيراتها بضعفها وعجزهـــا، أو بطغيانها وإجرامها؛ لُيثير بذلك عواطف المتلقي تجاه هذه النوعيات من البشر، إمـــا بالعطف والرفق، وإما بالاستنـــكار والكراهية، كما في هذه القصة وقصة «طبق الأصل» و«أستاذ» و«العجوزان»[(١)].

وإذا كان الطنطـــاوي بحماسته، وبيانه العذب، وتصويره المشوق، يُحيـــل القصـــة - أحيانـــاً - إلى خطبـــة، تكشف عما في الدنيـــا من رذائل وفســـاد في مقابـــل ما عند الله من خيـــر وثواب، وتعكـــس حسه اليقظ، ومشاعـــره الدفّاقة بالوعظ والإرشاد، كما في قصته «شيخ في مرقص» و«قصة أب» و«الباب الذي لا يُغلق في وجه سائل»[(٢)].

وقـــد تبيّن فـــي هذه القصص انفعـــال الطنطاوي بأسلـــوب القرآن الكريم، وتأثّره به في عرض قصصه من خلال مزجه الحكاية المشوّقة بالعظة المؤثرة، ومراعاته جمـــال التصوير مع سموّ التعبير، مما جعله بحق رائداً من روّاد القصة الإسلامية في العصر الحديث.

(١) الأدب الإسلامي «قصص الشيخ علي الطنطاوي بين الدعوة والفن»، د/سعد أبوالرضا، ص٢٤، ٢٥، العددان (٣٤-٣٥).

(٢) السابق، ص٣٤، ٣٥.

المبحث الثالث

أسلوب الطنطاوي في تراجمه

إذا كان للقصة الأدبية من التأثير ما قد تمتلك به القلوب، فإن للتراجم الأدبية الإسلامية الجادّة من التأثير ما يمكنه تبديل النفوس وتغيير الفكر والسلوك؛ حيث إنها أشد للنفس إقناعاً، وأوثق بها إيماناً؛ لأنها فوق كونها قصص حياة، كان لها وجود في الواقع الملموس وهذا ما قد تفتقر إليه القصة الأدبية، التي غالباً ما تعتمد على الوهم والخيال، والذي يضعف من تأثيرها في نفوس متلقيها، ركوناً إلى أنها قد تكون من صنع الكاتب، أو خيال الأديب؛ ولذلك أدرك الطنطاوي ضرورة خوض هذا الفن، وتوظيفه توظيفاً إسلاميا، فذهب يستمد قوته من الواقع التاريخي، ويعتمد فيه على الطاقة الإبداعية في التقاط الصور الحية الهادفة من حياة رجالنا الأوائل؛ ليسهم بذلك في إحياء الشعور الديني، وتنمية الفكر الإسلامي بإعادة الثقة لشبابنا والتماس القدوة من رجالنا.

أسلوبه في ترجمته الشخصية:

والطنطاوي في ذكرياته ملتزم بهذا التوجه الإسلامي الذي صان أسلوبه فيه من الإسفاف والابتذال، وعصمه من العامية والخروج على القواعد اللغوية.

obeikandi.com

كمـا نلاحظ في أسلوبه هـذا التوجه الإسلامي مـن خلال صدقه وصراحتـه فـي تناول ذكرياته، فلـم يموّه الحقائق ولـم يُزيّف الوقائع، وقـد علمنا أن من أهـم ما يميز الطنطاوي، صدقه مع نفسه، وقد تعهد بصدقه مع قارئه في ذكرياته فقال:

«ولكن لكم علي عهد أنا موف به – إن شاء الله – هو ألا أقول إلا الحق وألا أذكر مما صنعت إلا ما يشهد كل من عاصره أنني صنعته»[١].

وقـد وفّـى الطنطـاوي بعهده فبـدت صراحته وصدقـه في عرض الحقائق وتصوير الأحداث دون مواربة أو تلفيق، مما جعل من ذكرياته نموذجاً رائعاً للسيرة الذاتية الإسلامية في عصرنا الحديث.

وقد أكّد صدق هذه الذكريات أمور من أهمها:

- أن الصدق كان صفة ملازمة للطنطاوي؛ حيث توافر له من الشجاعة والجرأة، وحسن الخلق ما ينأى به عن الكذب.
- أنها كانت تنشر في جريدة سيارة، مما يفتح مجالاً أوسع لجمهور القراء إلى المراجعة والتصويب؛ إذا حاد عن الصواب أو خانته الذاكرة.
- توقّفه – أحياناً – فيها عن مواصلة الأحداث، والوقوف على مايتذكره منهـا خوفاً من مجانبة الحقيقـة دون أن يلجأ إلى خياله الوثاب في سد الفجوات، أو اصطناع الأحداث.

---

(١) ذكريات علي الطنطاوي ١٢/١.

obeikandl.com

ومـن هنا فقد بدت مظاهر الصراحـة والصدق في ثنايا ذكرياته فـي أعلـى درجاتها؛ حيث لم ينسـب لنفسه بطولة زائفـة، أو يخف زلة مؤسفة باعتبار أنه بشر يخطئ ويصيب، ومن هنا رأيناه يصرح لقارئه بمواقف له قد يستنكف من هو في مكانته عن ذكرها.

من ذلك تصويره لموقف أهل دمشق من زيارة «بلفور» سنة ١٩٢٥م إليهم، وموقفه هو من ذلك؛ حيث يقول:

«مـا كان جمهور الناس يعرف بلفـور الوزير البريطاني، ولا وعده الذي تحمـل دولتـه وزره، وما كانت قضيـة فلسطين قد ظهـرت وعُرفت وصارت القضية الكبرى. الذي عرف قصة هذا الوعد الآثم هم طلاب «مكتب عنبر» لقد تساءلوا من الذي أعطى هذا الرجل حق التصرّف بفلسطين؟ كيف سوغ لهذا شرفه إن كان له شرف؟ كيف برره له عقله، وله -ولا شك- عقل!؟

وغضـب الطـلاب، وزاد غضبهم أن هـذا الرجل سيـزور الجامع الأموي.. كلا، هذا لن يكون، وخرجوا بالمظاهرة، وانشطرت المظاهرة شطرين، أما أحدهما فذهب إلى الأموي فأغلق أبوابه كلها، وأما الآخر فتوجـه إلى الرجل في فنـدق فيكتوريا، الذي كان مقابل المصرف على الضفة الأخرى من بردى.. لا تسألوني أين كنت في هذا اليوم، وأين أنا من أحداثه؟ إن جوابي ليس في مصلحتي، إنني لم أكن في العير ولا في النفير! لا في «القافلة» ولا مع المقاتلة.

لماذا لأنني «صدقوني» لم أكن أدري بكل شيء مما حدث! ومن أين أدري وأنـا أعيش بيـن بيتي ومدرستي، ما لي صديـق أسأله، ولا عندي صحيفة أقرؤها، ولا كان في الدنيا إذاعة أسمعها!.

لذلك ذهبت إلى المدرسة كما كنت أذهب كل يوم، فلم أجد فيها أحداً فعجبت، وقرع جرس الدخول إلى الصف فدخلت وكنت وحدي، وجاء المدرس لأنه لم يكن يستطيع ألا يجيء، ونظر إلي ووجهه ينطق بالازدراء لي! أنا وعدت في مقدمة هذه الذكريات أن أقول الحق، أقوله بلا تزيد إن كان لي، وأقوله بلا تردد إن كان عليّ، لقد كان الحق مع المدرس أن ازدراني! كيف لا يزدري طالبا يخالف إخوانه كلهم ويتجاهل موقف أهل بلده جميعاً؟

من يصدق أنني لم أدر بشيء؟ من يصدق؟

وخرجت أجر رجلي فوجدت باب المدرسة مفتوحاً فخرجت وكانت سوق الحميدية مغلقة ما فيها أحد، ووصلت إلى شارع النصر ـ شارع جمال باشا الذي لم يكن في دمشق شارع غيره ـ فصرت في وسط اللج.

بحر من الناس تلتطم أمواجه، يهجمون، يرجمون الجنود بالحجارة، ولقد رأيت رجلاً أمسك بحجر ربما زاد وزنه على كيل، فقذف به من فوق الشجرات الكبار التي كانت في الشارع.. فإذا كرّ عليهم الجند فرّوا، فإذا ولّوا رجعوا، فدخلت بين الناس علّي أعتذر أمام نفسي بأني شاركت الناس فيما هم فيه»[1].

فهذه لوحة ناطقة من الماضي، عكست عواطف الناس عندما كانت بهم حياة، وأظهرت مشاعرهم الساخطة في مواجهة الباطل،

(١) ذكريات علي الطنطاوي، ج١، ص١٦٩، ١٧٠.

كمـا عبرت عن صدق وصراحة الطنطاوي فـي عرض موقفه، كما أنها تمثـل صورة من أسلوب الطنطاوي الحركي الذي يعنى نقله الحدث في صورة حية متحركة متمثلة للأذهان بأبعادها الحركية، والشكلية(١).

فصـورة طـلاب مكتب عنبـر، وهـم يتساءلـون تكاد تتـراءى لنا بملامحهـا القريبة والبعيدة، حيـث الدهشة علـى وجوههم، والغضب يملأ نفوسهم، والتصميم والعزم على منع الزيارة تنطق به ألسنتهم.

كما تتراءى لنا صورة تظاهرهم، والتحامهم بالناس المحتشدين، ثم انقسام هذا الحشد وتحركه في اتجاهين لمواجهة الجنود ورجمهم بوابـل من الحجارة، بعد إغلاق المسجد الأمـوي، كما نشعر باستحياء الطنطاوي في الإعلان عن موقفه يومئذ من خلال تمهيده بأسلوب ذكي، وحـوار وجداني قريب، خفف به قبول هـذا الموقف، وهيأنا لاستقباله، وهذا من إلهام طبعه، وحسه اليقظ في تعامله بأسلوبه مع النفس.

ويبـرز توجـه الطنطاوي الإسلامي في أسلـوب ذكرياته من خلال انطلاقـه فيها مـن منطلق إسلامي دعـوي؛ فقد كان يتلمسـ الأسلوب القرآنـي في أدائـه البياني باستغلال المواقـف والمناسبات التي يوجه مـن خلالها إلى القيم، وينبه إلى ما فيها من عبر بأسلوب عذب، وفكر لماح يلتقط العلاقات البعيـدة ويربط بينها؛ ليصل إلى مواطن التأثير التي تنبه الحس، وتهز النفس.

(١) الواقعية الإسلامية في الأدب والنقد، د/أحمد بسام ساعي، ص١٣١، ط١، دار المنارة، جدة.

فهو حين ينقل إلينا إحساسه بالصحراء، ومخاوفه في رحلته فيها بقوله:

«... حتى الطبيعة من حولنا لا أحس منها إلا ما يبعث الخوف وينفي الأمان: تلال الرمل وصخور الجبال وأرض تشتعل رمضاؤها، وتنفث لهباً سماؤها، وسراب رأيته أول مرة، وحسبته ماء فهو كالشهرة، والمجد، والجاه، يتمناه المحروم ولا يشعر بالمتعة بها من أوتيها»[(١)].

فهو لا ينسى أن ينقل إلينا ما توحيه هذه الصورة في نفسه من أن الشهرة والمجد والجاه للمحروم، كسراب الماء في الصحراء للظمآن، ما إن يصل إليه حتى لا يجده شيئاً.

ويدعو الطنطاوي إلى استخدام هذا الأسلوب ليس في الكتابة فحسب، بل في معالجة كل مظاهر الحياة: من ربط العلم بالحياة، وربط الحياة بالدين، على نحو ما كان من حكمة الله تعالى البالغة، في تنزيله لقرآنه الكريم مواكباً لأحداث الحياة وهادياً لها. يقول:

«فياليت مدرسي الفقه: إن علّموا الطلاب أحكام الحج عرضوا لهم صور المشاعر، وأماكن العبادة، ليصلوا علوم الدين بحياة الناس في هذه الدنيا.

ولولا أني أبعد عن الموضوع، لعرضت لشيء أعلم أنه ليس هنا مكانه، ولكنها ذكرى، والذكرى تنفع المؤمنين!.

(١) ذكريات علي الطنطاوي ٨٦/٣.

openkanari.com

هــي أن دروس مدرسي الدين، وخطب خطبــاء المساجد ومواعظ الوعــاظ، لا تبلغ من نفوس الناس غالبــاً مبلغها المرجو لها؛ لأنها تأتي بعيدة عــن الحياة، منفصلة عنها، فكأنها الآثــار تقتنى للإعجاب بها، ولكنهــا لا تستعمــل للاستفادة منهــا: تعرض في الرائــي البرامج وهي شتى، ولعل منها ما يخالف الإسلام، وأنا لا أقصر الكلام على المملكة بل أعمم، ثم تختم بتلاوة القرآن كما بدأت بتلاوة القرآن، فتأتي التلاوة منفصمة عما كان قبلها وعما كان بعدها.

وننسى أن القرآن لم ينزل جملة واحدة، كما نزلت الكتب من قبله، وكما طلب الكفار، بــل نزل منجماً، مرتبطاً بالحياة، تكون قصة أسرى بــدر، فينزل فيها قرآن، وتكون مسألة الإفــك، فينزل فيها قرآن، ينزل ـ دائمــاً ـ مقترنــا بالأحداث؛ لنفهمه ـ دائمــاً ـ مرتبطاً بالحياة ولنربطه بها»[١].

علــى أن سر الحياة في هذه الذكريــات يرجع إلى أسلوبها المميز؛ إذ إن الطنطاوي صاحب شخصية إسلامية مميزة بملامحها الإنسانية والفنيــة، والأسلوبيــة، والثقافيــة، والتــي منحتنا الكثير مــن المعارف الإنسانية والأدبية المصطبغة بالصبغة الإسلامية، والتي تلفت النظر، وتحــرك المشاعر، وتقود الوجدان، والعواطــف؛ لمعرفة قضايا الكون، والحياة وفق تصور الإسلام.

---

(١) ذكريات علي الطنطاوي ٨/ ٩٦.

من ذلك ما قدّمه من مساجلات ونوادر كثيرة تفيد القارئ بما توحيه من دلالات أخلاقية فاضلة، وتمتعه بما ترسمه من مفارقات وطرائف تثير الإعجاب، وتحمل على السرور والابتسام. وفي سبيل ذلك لم يكتف الطنطاوي بنقل مساجلاته وطرائفه، وهي كثيرة، بل أضاف إليها مما سمعه من غيره أو قرأه؛ ليكون من ذلك زاداً للقارئ يفيده على طريق الحياة. قال الطنطاوي:

«... وعندي في هذا الباب أخبار كثيرة أروي الآن واحداً منها، حدثني به في مصر الأستاذ/ أحمد حسن الزيات صاحب (الرسالة) عن شيخ سماه ونسيت أنا اسمه، قال: كان هذا الشيخ مدرساً لا يعرف من الدنيا إلا الجامع الأزهر الذي يدرّس فيه قبل أن تدخل عليه تاء التأنيث، فيصير جامعة، والبيت القريب منه الذي يسكنه، والطريق بينهما.. فلما طالت عليه المدة، وعلت به السن، واعتلّت منه الصحة احتاج إلى الراحة، فألزمه الطبيب بها، وأشار عليه أن يبتعد عن جو العمل ومكانه، وأن ينشد الهدوء في البساتين والرياض، وعلى شط النيل، فخرج، فاستوقف عربة، ولم تكن يومئذ السيارات، وقال له: خذني يا ولدي إلى مكان جميل أتفرج فيه وأستريح.

وكان صاحب العربة «العربجي» خبيثاً، فأخذه إلى طرف الأزبكية؛ حيث كانت بيوت المومسات، وقال: هنا!

قال: لقد قرب المغرب فأين أصلي!؟ خذني أولاً إلى المسجد.

قال: هذا هو المسجد!.

وكان البـاب مفتوحاً، وصاحبة الـدار قاعدة على الحال التي يكون عليهـا مثلهـا. فلما رآهـا غض بصره عنهـا، ورأى كرسيـاً، فقعد عليه ينتظـر الأذان، وهـي تنظـر إليه، لا تدري مـا أدخله عليهـا، وليس من رواد منزلهـا، ولا تجرؤ أن تسأله، منعتها بقية حياء قد يوجد أمام أهل الصلاح حتى عند المومسـات، وهو يسبّح وينظر في ساعته حتى سمع أذان المغـرب من بعيـد، فقال لها: أيـن المؤذّن؟! لمـاذا لا يؤذّن وقد دخـل الوقت؟! هل أنت بنته؟! فسكتت. فانتظر قليلاً، ثم قال: يا بنتي.. المغـرب غريب، لا يجوز تأخيـره! وما أرى هنا أحداً، فإن كنت متوضئة فصلي ورائي تكن جماعة!

وأذّن، وأراد أن يقيـم، وهـو لا يلتفـت إليهـا، فلما لـم يحس منها حركـة! قال: ما لك ألست على وضـوء؟ فاستيقظ إيمانها دفعة واحدة، ونسيت ما هي فيه، وعـادت إلى أيامها الخوالي، أيام كانت فتاة عفيفة طاهـرة، بعيدة عن الإثم، وراحت تبكي وتنشـج، ثم ألقت بنفسها على قدميه!...

فدُهشـ ولم يدر كيـف يواسيها وهو لا يريد أن ينظـر إليها، أو أن يمسهـا.. وقصّت عليه قصتها، ورأى مـن ندمها وصحة توبتها ما أيقن معـه صدقها فيها، فقال: اسمعي يا بنتي ما يقول رب العالمين: أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾(١) جميعـاً يـا ابنتي!

(١) سورة الزمر الآية: ٥٣.

إن بـاب التوبة مفتوح لكل عاصٍ وهو واسع يدخلون منـه، فيتسع لهم، مهمـا ثقل حملهم من الآثام، حتى الكفـر، فمن كفر بعد إيمانه ثم تاب قبـل أن تأتيـه ساعة الاحتضار، وكان صادقاً فـي توبته، وجدّد إسلامه فإن الله يقبله. الله يا بنتي أكرم الأكرمين، فهل سمعت بكريم يغلق بابه في وجه من يقصده، ويلجأ إليه، معتمداً عليه؟

قومي اغتسلي والبسي الثوب الساتر، اغسلي جلدك بالماء، وقلبك بالتوبـة والنـدم، وأقبلـي على الله، وأنـا منتظرك هنـا، لا تبطئي لئلا تفوتنا صلاة المغرب.

ففعلـت ما قـال، وخرجت إليه بثـوب جديد وقلب جديـد، ووقفت خلفه، وصلت صلاة ذاقت حلاوتها ونقّت الصلاة قلبها!.

فلمـا انقضـت الصلاة قـال لها: هلمّـي اذهبي معـي، وحاولي أن تقطعي كل رابطة تربطك بهذا المكان ومن فيه، وأن تمحي من ذاكرتك كل أثر لهذه المدة التي قضيتها فيه، وداومي على استغفار الله والإكثار من الصالحات، فليس الزنا بأكبر من الكفر، و«هند» التي كانت كافرة، وكانـت عدواً لرسول الله، وحاولت أن تأكل كبد عمه حمزة، لمّا صدقت التوبة صارت من صالحات المؤمنات، وصرنا نقول: رضي الله عنها!.

وأخذهـا إلـى دار فيها نسـوة ديّنات، ثم زوّجهـا ببعض من رضي الزواج بها من صالحي المسلمين، وأوصاه بها خيراً»[١].

---

(١) ذكريات علي الطنطاوي ١/ ١٩٤، ١٩٦.

فمثل هذه (النادرة الطريفة)[١] تمتع القارئ وتفيده في آن واحد؛ حيث يتعرّف من خلالها على أهمية التأثير بالحال قبل المقال، ويتبين له الخير والطهر الكامن في النفوس المنحرفة عن الفطرة الإسلامية، ومدى شقائها بهذا الانحراف، والتي متى وجدت من يعيد إليها طهرها، ويحسن رسم الطريق لها، الذي يردّها إلى فطرتها، ويدلّها على سعادتها عادت إليه من قريب.

ومن هنا يُلاحظ على هذه الذكريات - على الرغم من طولها - أنها جاءت عذبة سلسة، صافية الأسلوب مما يعكره من خبيث الألفاظ، وثقل الكلمات، وزيف العبارات، بعيدة عن التكلف، والتعسف، ومتضمنة استطرادات مفيدة، وطرائف حلوة، وخواطر عميقة، وسخرية مهذبة، كُتبت عن عقيدة سليمة، وعاطفة صادقة قوية، مما يؤدي - حقيقة - إلى سريان النفس معها في إمتاع، وخفة، منتقلة من موضوع إلى موضوع حتى النهاية دون ملل، أو فتور.

أسلوب الطنطاوي في تراجمه الذاتية الغيرية:

أسلوب الطنطاوي في تراجمه الغيرية مصطبغ بالصبغة الإسلامية الخالصة؛ حيث كان حريصاً فيها على الأمانة والدقّة، وجمال الصياغة، وحسن الترتيب.

---

(١) النادرة، والملحة، والطرفة: سرد قصير لحادثة طريفة شيقة، أو متعلقة بشخص من الأشخاص المعروفين (معجم مصطلحات الأدب. مجدي وهبة ص١٧، طبعة مكتبة لبنان).

obeikandi.com

ففي كتابيه عن «أبي بكر وعمر» رضي الله عنهما نراه قام بجهد كبير؛ حيث تناول حياتهما ـ في مجلدين كبيرين ـ من البداية إلى النهاية فكانت (ترجمة كلية)، قام بجمع الروايات التي تتعلق بهما وتحقيقها، وتنقيحها من الضعيف والزائف، وهذب أسلوبها ووضّح غامضها، وألّف بينها تحت عناوين داخلية تبرز أبعاد الشخصية، وتوضّح معالمها الحقيقية.

وهذا جهد كبير وعمل محمود؛ إذ هو أساس لكل دراسة تعقبه؛ لأن الكاتب نزّه كتابه عن أن يكون بحثاً تحليلياً يعتريه الصواب والخطأ، وإنما جعل منه مرجعاً علمياً، وسجلاً تاريخياً[١].

وللطنطاوي أسلوب آخر في (تراجمه الجانبية) وهي التي تناول فيها جوانب مميّزة من حياة شخصياته؛ حيث كان يجمع أقوال المؤرخين حول شخصيته التي يترجم لها، ثم يحقّقها، ثم يختار منها مشهداً بارزاً يجعله مدخلاً إلى الكتابة عنها، ومحوراً لترجمته التي يضفي عليها من عواطفه وأحاسيسه ما يبعث فيها الحياة، فيكون ما يكتبه وسطاً بين القصة الأدبية والسيرة التاريخية، وعلى ذلك جاءت تراجمه التي جمعها في كتابه (رجال من التاريخ) وكذا ما تناوله في (سلسلة أعلام التاريخ) و(قصة حياة عمر) حيث بدت في بناء تحليلي، روائي، متماسك، خلع عليها الطنطاوي من عواطفه وانفعالاته ما عكس شاعريته، وأظهر أحاسيسه في بعث التاريخ وبثّ الحياة في أحداثه، حتى ظهرت الأحداث وكأنها ماثلة للعيان واضحة في الأذهان.

(١) منهج العقاد في دراسة الشخصيات الإسلامية، علي خالد السداني ص١٥٩، المكتبة العصرية، ط١، ١٩٨٩م.

كما تبدو إسلامية أسلوب الطنطاوي في تراجمه من خلال عفة ألفاظه وقربها، ووضوح معانيه وسموها، فقد تميزت ألفاظ هذه التراجم وتراكيبها: بأنها قريبة عفيفة، سلسة الأداء، بارعة التراكيب، بعيدة عما يفسد الأسلوب من فجاجة اللفظ، أو ثقله، أو غرابته، وما يعيب العبارة من تعقيد أو تنافر أو غموض؛ حيث إن الطنطاوي متأثر في أسلوبه بالأداء القرآني في حرصه على سلامة بيانه، ووضوح كلامه لكل الطبقات ولمختلف المستويات مع بلوغه سنام البيان، وانتقائه من الصور ما يحيي به الكلام؛ لتتحرك النفوس الساكنة، وتحيا القلوب الميتة بما تراه من قيم ومثل، وعظات وعبر.

عرض الطنطاوي أول مواقف عمر رضي الله عنه بعد توليته الخلافة بأسلوبه العذب، وكلماته المضيئة، فقال معقبا عليه:

«لم يكد عمر ينفض يده من تراب أبي بكر رضي الله عنهما حتى قام في مكانه، فألقى خطبة العرش، وعرض فيها سياسته ومنهاجه، لا كما يعرضها ملوك اليوم، ورؤساء الزمان، ألفاظاً معسولة، تحمل أحلاماً بعيداً تحقيقها، وأمانيّ متعسراً بلوغها، يخدعون بها الناس عن رضاهم، وينالون بها إعجابهم، ثم لا ينفذون شيئاً منها! بل عرض منهاجه ونفذه، وزاد عليه، وكان فيه نادرة الزمان، وأعجوبة الدهر.

أعلن أنه لم يبلغ ذو حق أن يطاع في معصية الله، فلا يطيعونه إلا في أمر جائز، فهو رئيس جمهورية دستوري، مقيد بالقرآن، وقائم على تنفيذه، وليس بالملك المطلق الذي يمنح أوامره صفة التشريع، ولا هو

بالحاكم الجبار الذي يتخذ الناس عبيداً له وخولاً. وأعلن حقه من بيت المـال، بأنه ينزل نفسه منزلة ولي اليتيـم، إن استغنى كف، وإن احتاج أكل بالمعـروف، فلا يتخـذ الخلافة مغنماً ولا سلمـاً للعلو على الناس، والاستكبار في الأرض، ولا يملك حق التصرف بخزينة الدولة كتصرف مالك المـال بماله، وسار في خلافته كلها على هـذا الأسلوب الشعبي، واستطاع بعقلـه الكبير أن يسيّر وحده هذه المملكة الواسعة، على شكل من العدالة لم ير التاريخ مثله إلى اليوم!.

كان يعلـم الناس بحقوقهم، ويبصرهم بهـا، ويحثهم على مراقبة الخليفة وولاته، حتى بلغ في ذلك حد التصريح بأن على الناس أن يولوا رجلاً منهم فإن استقام اتبعوه، وإن جنف قتلوه.

فيعترض عليـه طلحـة، ويقول له: ومـا عليك إذا قلـت: وإن تعوج عزلوه؟

قال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لا، القتل أنكل لمن بعده!.

ألقى عليهم هذا الدرس، ثم امتحنهم به، فسألهم وهو على المنبر، مـا هم فاعلـون إذا رأوا فـي الخليفة اعوجاجاً، فلمـا رآهم قد حفظوا الدرس، وعرفوا ما لهم من حق عليه، اطمأن وسر!».

هـذا الموقف العظيم مـلأ على الطنطاوي مشاعـره، وتحركت به نفسه المتألمة من سلوك الحكام الذين ابتعدوا عن النهج القويم فراح يقول:

«أفرأيت ملكاً من الملوك أو رئيساً يقف من شعبه موقف الزعيم الوطني المتطرف، والمعارض الخطر الذي يحث الناس على البطش بالحكومة وتقويمها بالسيوف إذا رأوا فيها اعوجاجاً، وأنسوا منها ميلاً؟»(١).

وكأني بالطنطاوي يبعث برسالة ـ بهذا الأسلوب الرائع ـ إلى الشعوب الإسلامية؛ ليبث فيهم ـ من خلالها ـ هذه التربية السياسية الإسلامية الحقة التي كان يربيها عمر رضي الله عنه لرعيته حين يعرفهم بحقوقهم، ويحدد سياسته معهم، ويأمرهم بمحاسبته ومراقبته، بل والتخلص منه إن حاد عن الإسلام.

ويلاحظ إسلامية أسلوب الطنطاوي في تراجمه من خلال تأثره الواضح بالأسلوب القرآني، والبيان النبوي، الذي أضفى على أسلوبه قوة وجمالاً.

من ذلك قوله معلقاً على جرأة القاضي (منذر بن سعيد البلوطي)(٢) على الخليفة (عبد الرحمن الناصر)(٣) الذي انقاد له وهابه؛ للحق الذي التزمه، وصدر عنه:

---

(١) قصة حياة عمر، علي الطنطاوي، ص٢٣ ـ ٢٥، ط١، دار المنارة، جدة ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

(٢) منذر بن سعيد بن عبد الله القرطبي، أبو الحكم البلوطي (٢٧٥ ـ ٣٥٥ هـ/ ٨٨٦ ـ ٩٦٦م) قاضي قضاة الأندلس في عصره (معجم الأعلام ص٨٦٣).

(٣) عبدالرحمن الناصر بن محمد بن عبد الله.. بن هشام بن عبد الرحمن الداخل، ٢٧٧ ـ ٣٥٠هـ = ٨٩٠ ـ ٩٦١م، أول من تلقب بالخلافة من رجال الدولة الأموية في الأندلس، وتلقب بالناصر لدين الله (معجم الأعلام ٤٠٣).

«.... يا أيها السادة:

إذا أردتم أن تعرفوا من أين جاءته هذه الهيبة في الصدور، وهذه الجلالـة في النفوس، وهذه المنزلة عند الخليفة والناس؟ فاعلموا أنها ما جاءت إلا من إخلاصه للّه، وخوفه منه، وعبادته للّه، واتصاله به. إنّ مـن خاف اللّه خافه كل شـيء، ومن كان مع اللّه جعل الخلق كلهم معه، ومن أطاب مطعمه ومشربه استجاب اللّه دعاءه»[١].

ويتضح من هذا القول ملامح تأثره بالبيان القرآني، والأسلوب النبوي في ألفاظه ومعانيه؛ حيث قد بدأ كلامه بأبلغ حروف النداء (يا) مع حرف التنبيه (ها) ليعكس بذلك حرصه على انتباه المتلقي، واستعداده وتهيئته لما يلقى عليه من نتيجة مهمة يحرص على ألا يفوته منها شيء.

ثـم استعطف قلـوب المنادين بنعتهم «بالسـادة» وهي كلمة جميلة محببة؛ وذلك تقرباً وترغيباً لهم في الإقبال عليه.

وبعـد هذا النـداء، والتنبيـه، والاستعطـاف، يبدأ كلامـه بجملة الشـرط، والتي يتعلـق الذهن بها، ويتشـوق إلى جوابها، حتـى إذا أتى به، وهو المقصـود، وقع في النفس موقعاً حسناً على انتباه من المتلقي وترقب له، بعد طلبه وتطلعه إليه.

وإذا نظرنـا إلى جملة الجواب التي تشوقـت النفس إليها، رأيناها مقترنـة بأداة القصر التـي تؤكد المعنى المتمثل في تمجيد هذه القيم

(١) رجال من التاريخ «خطيب الدهر»، ج ١، ص٢٢٦.

والمعاني الإسلامية، والتي كانت السبب الحقيقي في مهابة الرجل، وجلاله، وعلو منزلته، وانقياد الناس والحكام له؛ فكان من ذلك دعوة ضمنية قوية للتمسك بهذه القيم، والترغيب في التحلي بها.

ويلمح استمداده المعنى في قوله: «إن من خاف الله خافه كل شيء» من قوله تعالى في شأن هيبة المؤمنين في صدور أعدائهم ﴿لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ اللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾[١].

ولعل استمداده المعنى في قوله: «ومن كان مع الله جعل الخلق كلهم معه» من الحديث الذي أخرجه الإمام البخاري من رواية أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ، قال: «إن الله تبارك وتعالى إذا أحب عبداً نادى جبريل: إن الله قد أحب فلاناً فأحبه، فيحبه جبريل، ثم ينادي جبريل في أهل السماء: إن الله قد أحب فلاناً فأحبوه، فيحبه أهل السماء، ويوضع له القبول في أهل الأرض»[٢].

ويلمح استمداد الطنطاوي لمعناه في قوله «ومن أطاب مطعمه، ومشربه استجاب الله دعاءه» من حديث النبي ﷺ الذي رواه ابن عباس رضي الله عنه قال: «تُليت هذه الآية عند رسول الله ﷺ ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا﴾، فقام سعد بن أبي وقاص فقال: يا رسول الله ادع الله أن يجعلني مستجاب الدعوة! فقال النبي ﷺ يا سعد! أطب مطعمك تكن مستجاب الدعوة. والذي نفس محمد بيده، إن العبد ليقذف اللقمة

(١) سورة الحشر آية: ١٣.

(٢) صحيح البخاري «كتاب التوحيد»، ص٩٧، حديث رقم ٧٤٨٥، المجلد ١٣، طبعة دار الريان.

الحـرام في جوفه ما يتقبل منه عمل أربعين يوماً. وأيما عبد نبت لحمه من السحت والربا، فالنار أولى به»[١].

وهذا ينعكس تأثر الطنطـاوي بالقرآن الكريم، والسنة النبوية في أسلوبـه، ومعانيه ممـا أضفى علـى أسلوبه قوة وجمـالاً، ومنحه تأثيراً ونفاذاً.

ويُلاحـظ فـي مجموعته (رجـال من التاريـخ) احتفـاؤه بأسلوب التشويـق والإثـارة؛ ليدفع المتلقي إلـى الانتباه والاستجابـة، ومن هنا كثيراً ما كان يبدأ ترجمته بعنوان لا يذكر فيه اسم الشخصية، وبمقدمة عنه يستثير فيها ذهن المتلقي إلى التطلع والتشويق لمعرفة الشخصية التـي يتحدث عنهـا، كما في تراجمـه التي جاءت تحت عنـوان «معلمة الرجـال»[٢] و«سيدة جليلة»[٣] و«أمير المؤمنيـن»[٤] و«العالم النبيل»[٥] و«الفقيه الأميرال»[٦] و«من ورثة الأنبياء» التي يقول منها:

«هـذه قصـة عالم.. عالـم أخلص للعلم حتـى جعل طلبـه أكبر غاياته... وغاية حياته، وكان ـ كما قال عن نفسه ـ يمشي الأيام في طلب

---

(١) المعجم الأوسط، الإمام الطبراني، ج٦، ص٣١٠، حديث رقم ٦٤٩٥، تحقيق طارق بن عوض الله ابن محمد، وعبدالمحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين ١٤١٥هـ.

(٢) رجال من التاريخ «خطيب الدهر»، ج١، ص٣٣.

(٣) السابق، ١/ ٣٩.

(٤) السابق، ١/ ٤٩.

(٥) السابق، ١/ ٥٦.

(٦) السابق، ١/ ٦٣.

الحديث الواحد، وبلغ فيه منزلة شهد مكحول الدمشقي العلامة، بأنه طاف الأرض كلها في طلب العلم فلم يجد أعلم منه، وكان أحد بناة هذا الصرح العلمي الذي شاده العلماء من تلاميذ محمد ﷺ.

وكان في هيبته وجرأته، وصراحته مع الملوك أمة وحده، وله مواقف مع عبدالملك، والوليد، والحجاج تقرؤها فتحسبها من أحاديث الخيال.

رفض عطاء السلطان فتراكمت رواتبه حتى بلغت ثلاثين ألفاً فلم يأخذ منها درهماً، وكان له (٤٠٠) درهم يتجر بها الزيت ويعيش منها.

وكان فقيهاً، وكان محدثاً، وكان أديباً، وكان شاعراً. وبقي أربعين سنة لا يسمع الأذان إلا وهو في المسجد، ولم يبدل مكانه من الصف الأول.... كان سعيد»[١] يعني سعيد بن المسيب. رحمه الله.

فالطنطاوي هنا قد ترك لذهن القارئ البحث عن صاحب هذه الأوصاف الجليلة، وشوقه للتعرف عليه، حتى إذا امتلأت نفسه بملامح هذه الشخصية، وتشوق إلى معرفتها صرح باسمها؛ ليقع الكلام من النفس موقعاً حسناً ويترك فيها أثراً مستمراً[٢].

وهكذا يلاحظ أن الطنطاوي كان في انطلاقه الإسلامي، حريصاً على منح أسلوبه كل وسائل التأثير، فكان يتخير من الأسلوب، ومن اللفظ، ومن الطريقة ما يتناسب مع غرضه، ويلبي هدفه، وينفعل به

(١) السابق، ١/٩٩، ١٠٠.

(٢) الأديب السوري علي الطنطاوي، د/عبدالحميد شعبان، ص٣١، ٣٢.

وجـدان متلقيه، حتى رأيناه في تراجـم مجموعته (رجال من التاريخ) يستخـدم بعضـ الألفـاظ العاميـة، والمصطلحات الأجنبيـة؛ ليوضح اتصالـه بالعصـر، واتسـاع ثقافته، وينبـه متلقيه. ولعـل السـبب في ذلـك - أيضـاً - هو أن هذه التراجـم كانت أحاديث إذاعيـة اسـتخدم فيهـا - أحيانـاً - اللفـظ (الأجنبي، والعامـي) كمثير ومنبـه!. من ذلك قولـه: «المعتزلـة هم أصحـاب المذهـب العقلي في الإسـلام (راسيو ناليست)»[١].

وقوله: «وكان يبرز لذويه ولمن يحتشم منه على حقيقته صورة بلا «رتوش» ووجهاً بلا «مكياج»....»[٢].

وكقوله: «ويقرأ في الكتب الفقه، و«يسيب» أمور الدنيا»[٣].

وهذا بلا شك يثير انتباه المتلقي بسمعه، ويستحوذ على إعجابه، حين يـرى ذلك الكلام يصدر عن شيخ يتكلم في الدين، متمكن من الفصحى، مستوعب للتاريخ، وهو ما لم يكن مألوفاً، كما أشار إلى ذلك أحد مستمعيه بقوله: «وكان يذكر فـي معرض حديثه كلمات فرنسية، ويشرحها، فيعجب النـاس مـن شيخ يتقن الفرنسيـة، ويتحدث عـن الأدب الفرنسي فنُدهش لعالم دين يعرف الأدب العالمي وشخصياته معرفة وثيقة»[٤].

---

(١) رجال من التاريخ «خطيب الدهر»، ج ١، ص١٣٢.

(٢) السابق، ج ٢، ص١٧٤.

(٣) رجال من التاريخ، ج٢، ص٢٣.

(٤) من كلمة بعنوان «السابقون إلى الدار الآخرة: الشيخ علي الطنطاوي في ذمة الله، الأستاذ/ أنور عبد المجيد الجبرتي (هاجر أم المسلمين) ص١٧، العدد ٥٠، أغسطس ١٩٩٩م.

obeikandi.com

المبحث الرابع

أسلوب الطنطاوي في مقالاته

إذا كانت حرية الأديب تستلزم تعدد المناهج التعبيرية، واختلاف الأساليب البيانية، تعدداً واختلافاً ناشئين عن استجابة فنية من الكاتب، لما يتطلبه الموضوع الذي تفاعلت به نفسه، من طرق تعبيرية، تبسّط الموضوع وتنقل صورته من مخيلة الكاتب إلى المتلقي!

فهي ليست حرية مطلقة - كما يتوهم بعض الدارسين - ولكنها حرية محدودة بأطر فنية، وواقعية، واجتماعية، ودينية، وفطرية، لا مفر من الالتزام بها وعدم الخروج عليها[١].

والمتأمل لمقالات الطنطاوي يلاحظ أنه يتناول في معالجة موضوعاته الأساليب البيانية المختلفة مستجيباً في ذلك لما يتطلبه الموضوع، وشعوره تجاهه، وملتزماً بالأطر الفنية، والإسلامية، والاجتماعية، والفطرية دون تكلّف أو اعتمال.

ففي مقالته (مناظرة قصيرة مع الأستاذ عارف العارف خليفة ميشيل عفلق)[٢] نراه يعتمد في تقديم رؤيته على الاحتكاك الحواري

(١) فن المقال في الأدب العربي الحديث، د/ إبراهيم عوضين، ص٢٠٦.

(٢) مجلة الفتح، ص١٠، العام الثاني عشر، الخميس ١٦ ذي الحجة ١٣٥٦هـ، ١٩٣٨/٢/١٧م.

obeikandl.com

الناشئ مع طرف آخر له علاقة بموضوعه؛ لتتكشف من خلاله للمتلقي أبعاد رؤيته، دون حاجة إلى تصريحه المباشر عما يريد.

ودفع الطنطاوي لاختيار هذا الأسلوب ما كان من تعيين (ميشيل عفلق) مدرساً – وكان نصرانياً – لتدريس العلوم الإسلامية لطلبة الثانوية، وأظهر من الخلط والتلفيق ما لا يرضاه أحد، فثار حوله الكلام، وكتب الطنطاوي مقالين في بيان أغلاطه وبطلانها، مما أدّى في النهاية إلى قلعه، ونقله لتعليم الصغار، واستبدال الأستاذ (عارف العارف) المدرس المسلم القادم من كليات باريس به.

وكان أن جمعت المصادفة بين الطنطاوي وعارف، ودار بينهما نقاش حول (ميشيل عفلق) وكتب المستشرقين كمصدر لدراسة علوم الدين.

ونشر الطنطاوي هذا النقاش في تلك المقالة؛ ليطلعنا على رؤيته في ذلك، ويرينا طرفاً من أفكار هؤلاء «الجهلاء» الذين نلقي إليهم مقاليد التعليم في بلادنا منخدعين بشهاداتهم الغربية.

قال الطنطاوي كاشفاً عن ذلك الحوار؛ لتتضح أبعاد تلك القضية:

«... وكان من اللياقة أن أفتح له باب الحديث بهذا السؤال بعد الذي سمعت من أنه كان يسبح في الأرض يجمع الـ... شهادات! كما يجمع الناس الحشرات النادرة أو الحجارة الغريبة! وقد ألّف مجموعة طيبة من هذه الشهادات جمعها من أكبر الجامعات: في اللاهوت،

والتاريخ، وما لست أدري... فأجابني بأنه عُيّن في ثانوية دمشق بدل (ميشيل عفلق)...

فسألت الأستاذ عارف عن رأيه في ضلالات هذا الخواجة، وانتظرت بالطبع ما يُنتظر من كل مسلم، عالم، وهو إنكاره والبراءة من صاحبها؛ وإذا بالأستاذ يفاجئني بقوله: «أنا لست معك يا أستاذ فيما كتبت، ولقد كنت عازفاً على الرد عليك!

فورد عليّ من كلامه أعجب وارد، لا جزعا من رده، فأنا أعلم، والناس يعلمون، ماذا يصنع معي مثل هذا إذا ردّ عليّ، وأنا أعلم الناس ببضاعة هؤلاء الذين يعودون من أوروبا. وقد ركّبوا بين أكتافهم رأساً إفرنسيا، أو إنكليزيا، فلا يعجبهم شيء شرقي مهما كان، ولا يسوؤهم شيء غربي مهما يكن! ولكني جزعت -والله- أن يكون هو الخلف المرتقب لذلك السلف الخبيث، وأن يضيع ما كان لنا من أمل فيه، فسألته وقد كتمت غيظي:

ولماذا لا تردّ عليّ اليوم؟ إنه لم يفت الوقت، ومع ذلك فأنا أتحداك، ولعلي ـ إن شاء الله ـ ملحقك به، فإنك تعلم أي قلم في يميني!

فقال الأستاذ عارف: «إن ميشيل عفلق اعتمد على مصادر استقى منها ما قرره، وهو غاية ما يستطيع أن يصنعه ولم يجئ بها من بيت أبيه..

قلت: ولكن كتب المستشرقين يا أستاذ عارف ليست هي موارد دراسة القرآن، والسنة، والتشريع وأصوله، وإنما مواردها العذبة الصافية التي لا مورد قبلها ولا بعدها هي كتب أئمتنا وعلمائنا.

فلم يسمع الأستاذ عارف هذه الكلمة حتى غضب غضبة «إفرنسية» وانتفض كمن لسعته عقرب، وراح يقرر في هياج وصخب، أن المستشرقين أعلم بالقرآن والسنة من علمائنا كلهم.

ولم يطق القوم سماع هذا الهذيان من مدرس محترم يحمل أكبر الشهادات... فثاروا به، وانبرى له فضيلة الأستاذ العلامة الشيخ/ صالح المدهون فدمغ باطله بالحجج الثابتة، وأكله أكلاً، حتى صار بين يديه مثل الأرنب بين يدي الأسد، فاضطر إلى التراجع، وذهب يلقي كلاماً طويلاً، لم يدع له الرعب رابطة ولا نظاماً...»(١).

ثم قال الطنطاوي مفنّداً هذه الفرية، وساخراً بتصورها: «لست أقول لهذا المدرس أنت عاص، أو خارج عن الملة، فإن في الشبان اليوم من يفتخر بالعصيان والخروج عن الإسلام، ولكني أقول له الكلمة الصادقة التي تؤلمه ولا يجد لها دفعاً، أقول له: يا أستاذ أنت جاهل برغم هذه الشهادات، وهذه الورقات المصدقات من كبريات الجامعات... ولو لم تكن جاهلاً لعلمت أن من العلوم علوم المعقولات كعلوم الرياضة، والطبيعة، وهذه من العلوم التي تُستنبط من التفكير والبحث، وهي التي تفوّق فيها الأوربيون علينا كما تفوقنا نحن عليهم في القرون الوسطى، وأن من العلوم ما يكون منقولاً، كعلوم الدين والمدار فيه على تحرّي الصدق والضبط في رواية النص، ولا قيمة فيها لأي بحث أو فكر لم يستند إلى نص كالتاريخ، فهل يرتجل التاريخ

(١) «مجلة الفتح»، ص١٠-١٢ السابق.

ارتجالا؟ فكيف إذاً يكتب المستشرقون في القرآن والسنة وأصول التشريع الإسلامي إذا لم يعتمدوا على هذه النصوص، وإذا اعتمدوا عليها فما هو الجديد الذي يمكن أن يجيئوا به ولا يعرفه علماؤنا؟! وإذا جاؤوا بهذا الجديد فما هي قيمته العلمية في نظر المسلم الذي يعلم أن دينه مستمد من الكتاب والسنة فقط، وما يلحق بهما ويؤخذ منهما من إجماع وقياس...»[1] إلى آخر ما جاء بالمقال.

وهذا الموضوع يدور حول أمر إسلامي علمي، تطلّب من الطنطاوي هذا الأسلوب الحواري الاحتكاكي؛ ليكشف به عن رؤيته وإحساسه بالخطر تجاه هذه المعتقدات الزائفة التي تستهدف ثقافة الأمة وهوية أبنائها، وخاصة إذا صدرت ممن يتولون التوجيه والتعليم في بلادنا.

وفي مقالته «فن الكلام» يلاحظ أن الحوار غير مفروض من كاتب آخر، ولكن الكاتب رأى أن ما لديه من رؤى قد يضل عنها المتلقي في غيابات الذهنية إذا هي قدمت مباشرة، فلجأ إلى اصطناع شخص آخر يواجهه برؤيته ويجري معه من الحوار ما يبرز في ثناياه الصورة التي يراها؛ لتصل المتلقي مجسمة مشخصة تتحرك الفكرة خلالها واضحة و تكون أسرع إلى قبوله إياها وأعمق تأثيراً فيه[2].

يقول: «زارني الليلة البارحة صديق لي فاستقبلته، واعتذرت إليه بأني مشغول.. عندي مقالة، قال: كل يوم مقالة، أو حديث؟! متى تنتهي هذه المقالات وهذه الأحاديث؟

(١) «مجلة الفتح»، ص١٢، السابق.

(٢) فن المقال في الأدب العربي المعاصر، د/ إبراهيم عوضين، ص٢٢٩.

قلت: حتى أنتهي أنا...

قال: إنك تنشر باستمرار من أربعين سنة فمن أين تجيء بهذه الموضوعات كلها؟

قلت: أسمع كلمة من تكلم، أو أبصر مشهداً في طريق فأدير ذلك في ذهني ولا أزال أولّد من الكلمة كلمة، ومن المشهد مشهداً حتى يجيء من ذلك حديث أو مقالة.

قال: أرني كيف تصنع حتى أتعلم!

فضحكت وقلت: إنها عملية تتم في ذهني لا في يدي، فكيف أريك ما لا يرى!؟

وكنا قد شربنا القهوة ولكني لا أكتفي بها، ووجدت أنها لا تزال بي رغبة إلى الشاي، وأنا كالإنكليز (في هذه فقط) أشرب الشاي في الصباح وفي الأصيل وفي الليل لا أنتهي منه حتى أعود إليه!.

فقلت للبنت: قولي لأمك: بابا يسألك: هل من آداب الضيافة أن نقدم الشاي بعد القهوة؟

فذهبت فقالت لها: بابا عاوز شاي!.

قلت له: أسمعت؟ هذا موضوع حديث!.

قال متعجباً: هذا!؟

قلت: نعم. لقد بعثتها لتنقل إليها عبارة معناها أني أريد شايا، ولكني جعلتها نكتة لطيفة، ليس فيها أمر، وليس فيها جفاء، فأضاعت

obeikandl.com

البنـت هذه المزايـا كلها حين بلغتها المعنى المجـرد جافاً قاسياً كأنه أمر عسكري!.

أفلا يوحي إليك هذا بشيء؟

فنظر وقال: لا..!

قلت: أما أنا فقد ذكرني بقصة الأمير الذي رأى رؤيا مزعجة فدعا بمن يعبّرها له، فقال لـه: تفسيرها أنها ستموت أسرتك كلها!. فغضب الأميـر، وأمر به فجلد عشر جلدات وطرد. ودعا بآخر، فقال له:...أيها الأميـر إن تعبير رؤياك واضح، إنك أطول عمراً من أسرتك كلها. فسر الأمير، وأمر أن يعطى عشرة دنانير.

والمعنـى واحـد، ولكن هذا قذف بـه في وجه الأميـر عارياً صلداً كأنه يقذفـه بحجر، فخرج مضروباً، وذلك لفّـه بثوب جميل من حسن التعبيـر، وقدمه إليه بيمينه برفق وتعظيم وخرج بالجائزة!. إن هذا هو الموضوع.

قال: إني لا أفهم شيئاً إلى الآن؟ فما هو الموضوع؟

قلـت: فن الـكلام. إن الإنسان كمـا يقولون: حيـوان ناطق، وليس النطـق أن يخـرج الحروف ويصـف الكلام، بل أن يعـرف كيف يتكلم، وربّ كلمـة تدخل الجنـة، وكلمة تدخل النـار! وكلمة أنجـت من القتل، وكلمة دفعت صاحبهـا إلى القتل! وربّ صاحب حاجة عند وزير أو كبير عـرف كيف يطلبها فقضيت لـه، وآخر طلبها فلم يصـل إليها!. وكثيراً

ما كان يقصدني أرباب الحاجات يسألونني أن أكلم لهم من أعرف من الوزراء والكبراء، وأنا أكره أن أسأل في حاجة لي أو لغيري، فكنت أعتذر إليهم، ولكني أفيدهم فائدة أكبر من وساطتي، هي أن ألقّنهم الكلام الذي يقولونه للوزير أو للكبير! ولولا أن الوقت يضيق عن التمثيل لضربت لذلك أمثالاً.

وفي كتب الأدب العجائب في هذا الباب، ولعلي أعود إلى الكلام فيها يوماً.

وهذا فن لا يتعلم تعلماً ولكن يوصل إليه بالقلب الذكي، وبأن تعرف خلق من تكلمه، والطريق إلى نفسه.

وكل نفس لها باب، وإليها طريق، لم يخلق الله نفساً مغلقة لا باب لها، فهذا يدخل إليه من باب التعظيم، وهذا من باب العاطفة، وهذا من باب المنطق، وهذا من باب التهديد والتخويف، وهذا يزعجه التطويل ويحب الاختصار، وهذا يؤثر الشرح والبيان! ولابد لك من قبل أن تكلم أحداً أن تعرف من أي باب من هذه الأبواب تدخل عليه.

ولا أذهب بك بعيداً، معك في الدار، أليس لك أولاد!؟

قال: بلى.

قلتُ: قد يجيئك ولدك وهو عابس مبرطم! (والكلمة عربية) فيقول لك بلا سلام ولا كلام: أبغي نصف ريال.

فتقول له: أما أخذت البارحة نصف ريال؟ أكل يوم نصف ريال؟ وتطرده.

ويجيء الولد الآخر فيقبّل يديك، ويسلم عليك، ويقول لك: بابا أنا أشكرك لأنك أعطيتني أمس نصف ريال، ولكني أنفقته وأنا أريد غيرها ولكني مستحي منك. وسأقتصد ولن أنفقها كلها مثل المرة الماضية.

فتقول له: لماذا تستحيي مني؟ هل يستحيي أحد من أبيه؟ خذ.. هذا ريال!.

إنك لا تفضل ولدا على ولد، ولا تبخل بنصف الريال، ولكن الأول أساء الأدب، فعاقبته بالحرمان، والثاني أحسن الأدب فأجبت له الطلب.

والمرأة الحكيمة التي تعرف خلق زوجها، وتعرف كيف تكلمه تصل إلى كل ما تريده منه، والمرأة الحمقاء تحرم نفسها من كل شيء!.

الأولى تعرف الوقت المناسب لعرض طلبها فلا تجيء زوجها وهو غضبان أو متضايق، بل تنتظر ساعة رضائه، وانطلاق نفسه فتطلب منه. ولا يكفي الرضا منه بل يجب أن يكون مع رضا النفس امتلاء اليد، فإذا كانت تعلم أن الزوج ليس لديه من المال ما يلبي به الطلب لم يفدها حسن العرض ولا جمال القول. وليست العبرة بألفاظ الكلام فقط، بل باللهجة التي يلقى بها هذا الكلام، والتحية إن ألقيت بلهجة جافة كانت شتيمة، والشتيمة إن ألقيت بلهجة حب كانت تحية، والولد الصغير يعرف هذا بالفطرة..إن قلت وأنت ضاحك (أخ يا خبيث) سرّ وابتسم، وإن قلت وأنت عابس مهدد: تعال يا آدمي يا – منظوم– خاف وهرب!.

وإن قلت لصديقك في الدار: تفضل اقعد.. كانت مكرمة، وإن قالها رئيس المحكمة للمحامي في وسط دفاعه كانت إهانة!.

مع أن الكلمة واحدة وإن كتبت لم يكن بين حاليها اختلاف، وما نقلها من حال إلى حال إلا اللهجة...»[١].

وهكذا يمضي الطنطاوي إلى نهاية المقال، يجلّي لنا من خلال حواره الهادئ ما في نفسه، ويكشف لنا عن معاناته اليومية في تجهيز المقال وتأليف الحديث، وما يتطلبه هذا من دقة الملاحظة وسعة الثقافة وذكاء القلب الذي يمكنه من أن يبني من الكلمة موضوعاً، ومن المشهد حديثا أو قصة؛ لنعلم أنه كلما كان زاد الكاتب الثقافي كبيراً.. شرّق وغرّب، وأقام الحجج، وجمع الأدلة، وأتى بالعجائب. وكلما كان ذكي القلب، نافذ البصيرة كان مبدعاً طريفاً.

وقد عالج هذا الموضوع أمراً مهمًّا من خلال أسلوب الحوار، تمثل في أثر الكلمة وارتباطها بسعادة المرء وشقائه في الدنيا والآخرة؛ فكأنه بيان لقول رسول الله ﷺ: «إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله تعالى ما يلقي لها بالاً يرفعه الله بها درجات، وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله تعالى لا يلقي لها بالاً يهوي بها في جهنم»[٢].

(١) صور وخواطر «فن الكلام» علي الطنطاوي، ص٢٨٠ – ٢٨٣.

(٢) رواه البخاري من رواية أبي هريرة - رياض الصالحين، للإمام النووي، ص٣٨٧، حديث رقم ١٥١٥، ط٢، دار التراث العربي القاهرة ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

openkamal.com

كما كشف الموضوع بأسلوبه الحواري عن تأثير الكلمة في النفوس ومسها شغاف القلوب إذا أحسن المرء تأتيها وأدرك أبعادها، فراعى طريقة عرضها، وإيحاءها، ومناسبتها، ووقتها، ولهجة نطقها، وقسمات الوجه عند التعبير بها، ونفسية المتلقي لها... وكل هذه الأمور المهمة التي تفيد في فاعلية الكلمة وهيمنتها على النفوس وإصابتها الهدف، والتي يحتاج لمعرفتها الناس عامة، والدعاة والمصلحون خاصة.

والطنطاوي لا يقف في عرض موضوعاته على الأسلوب الحواري، بل يكثر من الأسلوب السردي التحليلي في براعة وعذوبة تأخذ النفس بحسن الترتيب وقوة التدليل، وصدق الوجدان وطرافة الإيحاء، وذلك حين يقصد به تقديم صورة لما يحققه خياله من ربط بين تفكيره ومشاعره تجاه موضوعه[١].

من ذلك مقالته «التشجيع» التي يقول فيها:

«قرأت مرة أن مجلة إنكليزية كبيرة سألت الأدباء عن الأمر الذي يتوقف عليه نمو العلوم وازدهار الآداب، وجعلت لمن يحسن الجواب جائزة قيمة، فكانت الجائزة لكاتبة مشهورة قالت: إنه التشجيع! وقالت: إنها في تلك السن، بعد تلك الشهرة والمكانة، تدفعها كلمة التشجيع حتى تمضي إلى الأمام، وتقعد بها كلمة التثبيط عن المسير.

---

(١) فن المقالة في الأدب العربي المعاصر، د/ إبراهيم عوضين، ص٢٣٦.

obeikandi.com

وإن من أظهر الأسباب في ركود الأدب في الشام في القرن الماضي، وانقطاع سبيل التأليف، هو فقدان التشجيع، ذلك «الاحتكار العلمي» الذي قتل كثيراً من النفوس المستعدة للعلم، وخنق كثيراً من العبقريات المتهيئة للظهور. فقد كان العلم في الشام مقصوراً يومئذ على بيوت معروفة لا يتعداها ولا يجوز أن يتعداها، هي: بيت العطار، والحمزاوي، والغزي، والطنطاوي، والشطي، والخاني، والكزبري، والأسطواني، والحلبي...».

«... وكان لهذه البيوت كل معاني الامتياز و«الاحتكار العلمي» فإذا سمع أن شاباً اشتغل بالعلم من غير هذه البيوت، وقدروا فيه النبوغ، وخافوا أن يزاحمهم على وظائفهم الموروثة، بذلوا الجهد في صرفه عن العلم، والعدول به إلى التجارة؛ أو ليست الوظائف العلمية وقفاً على هذه البيوت؟ أوليس للولد ولاية العهد في وظيفة أبيه، تنحدر إليه الإمامة أو الخطابة أو التدريس عالماً كان أو جاهلاً، فكيف إذا يزاحمهم عليها أبناء التجار، وهم لا يزاحمون أبناء التجار على «حوانيتهم»؟ أو لا يكفي أبناء التجار هذا القدر البسيط من النحو والصرف والفقه والمنطق الذي يمن به عليهم هؤلاء العلماء؟...

حتى إنه لما نشأ محمد أمين «ابن عابدين» وأنسوا منه الميل إلى العلم، وعرفوا فيه الذكاء المتوقد والعقل الراجح، خافوا منه فذهبوا يقنعون أباه -وكان أبوه امرأ تاجراً- ليسلك به سبيل التجارة، ويتنكب به طريق العلم، وجعلوا يكلمونه، ويرسلون إليه الرسل، ويكتبون إليه الكتب، ويستعينون عليه بأصحابه وخلصائه، ولكن الله أراد بالمسلمين

خيـراً، فثبت الوالد، فكان من هذا الولـد المبارك ابن عابدين صاحب (الحاشية) أوسـع كتاب في فروع الفقه الحنفي، بل أرادوا أن يصرفوا أستاذنـا العلامة (محمد كـرد علي) عن العلم، فبعثـوا إليه بشقيقين مـن آل... قد ماتا فلست أسميهما على رغم أنهما قطعا عن العلم أكثر مـن أربعيـن طالبا - فمـا زالا بأبيه - ولـم يكن أبوه مـن أهل العلم - ينصحانه أن يقطعه عن العلم، ويعلمه مهنة يتكسب منها، فما في العلم نفع، ولا منه فائدة... ويلحان عليه ويلازمانه، حتى ضجر، فصرفهما، فكان مـن ولده هذا الأستاذ (كرد علي) أبو النهضة الفكرية في الشام وقائدها، ووزير معارف سورية ومفخرتها..»[1].

ويستمـر الطنطاوي بهذا الأسلوب العـذب يسرد أمثلة عديدة لأثر التشجيع في بناء النفوس، وأثر التثبيط في هدمها ليقول:

«إن التشجيـع يفتح الطريق للعبقريات المخبوءة حتى تظهر وتثمر ثمرها، وتؤتي أكلها؛ ورب ولد من أولاد الصناع أو التجار يكون إذا شجع وأخـذ بيده عالما من أكابـر العلماء، أو أديباً مـن أعاظم الأدباء! وفي علماء القرن الماضي في الشام من ارتقى بالجد والدأب والتشجيع من منوال الحياكة إلى منصب الإفتاء، وكرسي التدريس تحت القبة..»[2].

ويسير الطنطـاوي في هذا المقال بأسلوبه السـردي سيراً حثيثاً، ينتقـل فيه من مثال إلى مثال، ومن تجربة إلـى تجربة يكشف بها ثمار

(١) فكر ومباحث «التشجيع» علي الطنطاوي، ص١٢٩.

(٢) المرجع السابق، ص١٣١.

التشجيع الحسنة وأثره الواضح في ارتقاء النفوس واستنفار طاقتها الإبداعية، وكأننا بذلك نتلقى درساً تربوياً مهمًّا له أثره و خطره في واقع الحياة، ومن هنا لم يغفل الطنطاوي عن أن ينبه في نهاية المقال إلى عيب التشجيع الذي إذا سلم منه المشجع جنى ثمار النجاح فقال: «...على أن للتشجيع عيباً واحداً هو الغرور...»[١].

وهكذا يلاحظ أن الطنطاوي قد استخدم في مقاله هذا..أسلوب السرد التحليلي؛ لتبرز من خلاله فكرته في صورتها الكاملة بأدلتها الواضحة، وإيحاءاتها المبهرة؛ ليستقبلها القارئ بارتياح واقتناع نتيجة إحساسه بصدق الكاتب وثقته في إيمانه العميق بفكرته التي أحسن عرضها والتدليل عليها.

ويلاحظ أن الطنطاوي آثر في تصويره العبارات والجمل الخبرية بما تحدثه في الصور البيانية والإدراكات العقلية من ظلال اليقين والصدق المستمدين من الواقع[٢].

وتتضح معالجة الطنطاوي لموضوعه بهذا الأسلوب التحليلي في براعة تصوير، وجمال تعبير، وحسن استدلال، وصدق وجدان، و ترابط أفكار؛ منطلقا من وجهة إسلامية ومعارف تاريخية وذاتية؛ ليبين أثر التشجيع في دفع النفوس لاقتحام الصعاب و تحقيق الآمال، وأثر التثبيط في وأد النبوغ وقتل العبقريات؛ ليخط من بين ذلك صورتين

---

(١) فكر ومباحث «التشجيع» علي الطنطاوي، ص١٣٤.

(٢) فن المقال في الأدب العربي الحديث، د/ إبراهيم عوضين، ص١٤٧.

متقابلتين، ينشئ تقابلهما صورة ثالثة بكامل ألوانها وظلالها، هي التي كانت مقصده من مقالته[١].

والطنطاوي لم يقف في تناول موضوعاته على أسلوب الحوار الكاشف أو التحليل الواضح فحسب، بل يلاحظ – أيضًا – كثرة اعتماده على أسلوب التأمل كوسيلة بيانية كشف بها عن حقائق موضوعاته، واستجلى بها كوامن أفكاره، سواء كانت عقدية، أو اجتماعية، أو سياسية، أو فكرية...[٢].

من ذلك حديثه الإذاعي «حكمة القدر» الذي نشره سنة ١٩٤٨م قال فيه:

«دخل علينا أمس، وكنا جماعة في المجلس، صديق لنا، فقال: إن ابنة الأستاذ/حبيب زحلاوي قد سقطت من الطبقة السادسة إلى الشارع! فارتعنا جميعاً، وأعظمنا الخطب، وكنا نعرفها طفلة حلوة ملء إهابها الطهر، والجمال، والنشاط فلم نستطع أن نتصورها وهي مزق من اللحم قد اختلط بعضه ببعض، ووجمنا وكانت سكتة لم يقطعها إلا ضحك صديقنا المخبر! فعرفنا أنها مزحة ثقيلة من مزحاته، وأقبلنا عليه نسبّه ونشتمه، فقال: والله ما كذبت عليكم، لقد وقعت من الطبقة السادسة ولكنها لم تصب بشيء، وهي سليمة...

(١) السابق، ص٢٤٧.

(٢) السابق، ص٢٤٩.

فصرخنا جميعا: سليمة! قال: نعم والله!. ألا تصدقون!؟ إنها وقعت على حبال الغسيل الممدودة بين الشرفتين حبال الطبقة الخامسة، فعاقتها قليلاً، ونفذت منها إلى حبال الطبقة الرابعة، وما زالت تمر من حبال إلى حبال، حتى إذا بلغت الشارع، كانت سقطتها على كومة من الرمال صبتها سيارة صباح ذلك اليوم، فلم تصب بأذى!.

ومضى يحلف ويؤكد الأيمان أن الذي يرويه هو الصدق والحق، وأن صبياً لصديق آخر لا أسميه لئلا أسوءه، وأذكره بمصابه، وقف على مكتب أبيه يلعب، فرأى صورة معلقة بالجدار، فوثب يريد أن يصل إليها، فوقع على أرض الغرفة، وكانت من البلاط، وكانت السقطة على يافوخه، فمات لساعته!.

وقال معلقاً ومتفلسفاً: ففيم إذاً نفكر وندبر، مادام لا ينفعنا فكر، ولا يفيدنا تدبير!؟ ولم لا ندع الأمور للقدر ونتركها تجري على أعنتها كما يريد لها مجريها!؟ ومادمنا لا نملك أنفسنا ولا نعرف مصائرنا، مادام هذا الكون كالمعمل الضخم المشتبك الآلات، المتعدد المتحركات، وما نحن إلا مسمار صغير فيه، نسير كما يسيّرنا «مهندسه» الأعظم...

وأسرع واحد منا، فقال مصدقاً: نعم، ولكنا خلقنا للشقاء، وأقمنا هدفاً للمصائب، ووضعنا في الدنيا ما فيها إلا الآلام، من سلم منها اليوم وقع غداً، ومن لم يمت ولده من سقطته مات من علته، أو مات وهو صحيح معافى، ما من الموت بد...

ولابد قبل الموت من البلايا والمتاعب...

وتكلم ثالث، يرى نفسه من كبار العقلاء، فأنكر القدر، وجحد المقدر، وزعم أن الحياة ليست إلا عجينة في يدك، أنت تديرها وتصورها، فإن صنعت منها تمثال غادة جميلة كان لك جمالها، وإن عملت منها هولة قبيحة كان عليك قبحها...

إن مرضت فمن إقلالك الغذاء وإهمالك التوقي، وإن دعست فمن تركك الحذر، وإن افتقرت فمن قعودك عن السعي... وأمثال هذا الكلام!.

فقلت له: فلم ولد هذا في دار علم وتهذيب؛ فتعلم وعرف سبل الوقاية، وخطر الأمراض، ونشأ ذاك في بيت جهل وفساد، فشب جاهلاً فاسداً، لا يعرف كيف يتقي الداء؟ ولماذا دعس هذا من قلة حذره، وسلم من هو أقل منه حذراً، وطريقه أشد خطراً!؟

ولماذا يسعى الرجل حتى تنقطع من السعي أنفاسه، ويرجع ولم يصل، ولا إلى مثل خفي حنين، وتأتي الأموال لآخر بلا سعي ولا طلب!؟

ولماذا يتاح لهذا النابغة أن يظهر نبوغه، حتى يكون اسمه تسبيحاً على كل لسان، وعنواناً في كل كتاب، ويُجهل من هو أحد منه ذكاءً، وأكبر موهبة، وأظهر استعداداً للنبوغ؟

ولماذا؟ ولماذا؟ وألف لماذا، لو شئت لسقتها لك فما استطعت الجواب على واحد منها. فما أنت في الوجود!؟

هـل تُسيّـر أنت الفلك على هـواك، وهل تسوق الكـون إلى غايتك، هـل أنـت إلـه؟ إنـك ماكوّنـت نفسـك، ولا شققـت بيـدك سمعك ولا بصرك...»[١].

فالطنطاوي – كما نرى – لفت نظره بعض أحداث الحياة المثيرة وتطلّـع أصدقائـه – أو من جردهم من نفسه – لمعرفة السر وراء هذه الأحـداث، ومـا تثيره فـي العقول من اعتقـادات متباينـة لها خطرها، وبُعدها الديني والاجتماعي.

فرأى الطنطـاوي أن يثير هذه الأسئلة التي تنقد هذه الاعتقادات، وتخلص العقل من رواسبها الأثيمة؛ ليفتح بعـد ذلك آفاقاً جديدة من تأملاتـه، تتكشف من خلالها رؤيتـه العميقة التي يطمئـن إليها العقل وتهتدي بها النفس من حيرتها واضطرابها.

قال: «فهل ترى أنت أن الإنسان مسير؟».

قلت: ما مسيّر؟ وما مخيّر؟ وما هذه الفلسفة الفارغة!؟ لقد اشتغل بها البشر من يوم بـدؤوا يفكرون واختلفوا عليها، وتجادلوا، ولا يزالون يختلفـون ويتجادلون، لم يصلوا إلى شيء، وإنما تاهوا في بيداء لا أول لهـا ولا آخـر، وهاموا علـى وجوههم فـي مَهْمهٍ متشابهـة الأرجاء، بلا أمـل ولا رجاء، فذهب هـذا ينكر القدر ويزعم أن الحياة ملك الإنسان، وأحداثهـا صنع يديه. وراح ذاك ينكـر إنسانيته ويجحد نفسه، ويراها

---

(١) صور وخواطر، ص١٢١ – ١٢٣.

مسماراً في آلة الكون، وحجراً في جبل يدور مع الأرض أنّى دارت. وكان هذا متشائماً لا يرى إلا الذي وقع عن الكرسي فمات، فاعتقد أن الدنيا دار المصائب، وكان ذلك مغروراً لم يبصر إلا التي وقعت من الطبقة السادسة ولم تمت، فحسب أنه يسلم من كل أذى!.

ونحن مع القدر بشر، لا آلهة ولا حجر، والدنيا ليست مسرّة كلها ولا مصائب، ولكنها مسرّة وكدر.

وأنا كلما فكرت، وذكرت ما رأيت من الحوادث بعيني ازددت يقينا بأن أكثر الناس لا يعرفون سر الإيمان بالقدر!

رأيت الترام مرة وقد انكسر مقوده، فانحط من المنحدر الهائل عند (الجسر) في دمشق وكانت امرأة واقفة بين خطيه بعد المنعطف، فلما رأته مقبلاً كالموت النازل، سمّرت رجلاها من فزعها بالأرض وجمدت، ولم يجرؤ أحد أن يدنو لإنقاذها فيموت معها، والوقت أضيق من أن يتسع لشيء، فأغمضوا عيونهم حتى لا يروا... فلما وصلت الحافلة إلى المنحنى تركت الخط وسارت قدماً، فصدمت جداراً من اللبن ضعيفاً، ومرت منه إلى قوم في دارهم فقتلتهم.

ورأيت مرة بعيني شباباً يمشون تحت فندق (عدن بالاس) في دمشق فرفع أحدهم رأسه فجأة، فرأى شيئا يهوي وقد صار حيال بصره فتناوله بيده، وإذا هو صبي رضيع وقع من شباك الفندق، وهبطت أمه كالمجنونة، وهي امرأة من (حماة) فرأته سالماً... ورأى غيري حوادث مثل هذه الحوادث!.

وفي كتاب (الفرج بعد الشدة) للقاضي التنوخي مئات من القصص عمن نجا وهو في لج الهلاك، وفي كتاب الحياة آلاف من الأخبار عمن هلك وهو على بر النجاة.

فما سر هذه العجائب؟ وكيف عاشت المرأة وقد فرطت وعرضت نفسها للموت بسيرها بين خطي الترام، ومات قوم اتخذوا كل أسباب الوقاية، فدخلوا دارهم، وأغلقوا بابهم، فشق الترام الحائط ودخل عليهم فدعسهم، وكيف وقعت البنت فلم تمت، وتموت كل يوم مئات من البنات من غير وقوع؟.

إن هذا هو السر الذي لا يعرفه أحد، فلا تحاولوا كشف سر القدر، ولكن استفيدوا من حكمة القدر، وهذا ما سقت له حديثي...»[١].

فالطنطاوي في هذا المقال عالج موضوع القدر من خلال تأملاته وسبحاته الفكرية، ذلك الموضوع الذي حيّر الفلاسفة، وشغل المتكلمين دون جدوى نافعة؛ ليقنعنا بأن الجهل بسر القدر ابتلاء، وإخفاءه عنا نعمة من الله تعالى، وقوة تدفع المسلم إلى الخير والجد والاجتهاد دون تقصير أو تواكل، فإذا لم يوفّق المسلم -بعد ذلك- إلى مراده استسلم لحكمة الله وقدره، مؤمناً بإرادته الغالبة، وحكمته البالغة في تقديره الخير لعباده المؤمنين، وإن توهموا غير ذلك، قال تعالى:

﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا

---

(١) صور وخواطر، ص١٢٤.

تَعۡلَمُونَ ﴾[1]، فإن آمن المرء بذلك قرت عينه، وسكنت نفسه، ونجا من سخط النفس، ووخز الضمير. وتلك هي حكمة القدر التي يريدنا الطنطاوي أن نعرفها ونستفيد منها فقال:

«والإيمان بالقدر راحة؛ لأنه لو كان الفشل من عملك وحدك، وكان النجاح من صنع يدك لقطّعت نفسك أسفاً إن فشلت، أو سبقت.

والإيمان بالقدر عزاء، لأنك إن قدر عليك المصاب بولد، فاحمد الله ففي الناس من أصيب بولدين، وإن خسرت ألفاً ففيهم من خسر ألفين.

فهل عرفتم الآن ما حكمة القدر؟

هي أن نجد ونعمل ونسعى، ونبذل الجهد، ثم لانحزن إن فشلنا، ولا نيأس إن لم نصل إلى ما نريد. وأن نكون مع القدر كمن يجتاز طريقاً فيه السيارات المزدحمات، فإن ذكر حوادثها وأخطارها وحدها لم يستطع أن يتقدم خطوة، وإن اعتقد من غروره أنه يستطيع أن يرد عنه السيارات المقبلة، ويدفع الخطر الآتي لم يسلم، ولكن إن انتبه وسار بحذر، فهذا هو العاقل، ثم إن نجا حمد الله إن قدر له النجاة، وإن أصيب ذكر أنه لم يقصر، وإنما هو حكم القدر»[2].

فالأسلوب هنا وإن كان تأمليا إلا أن كاتبنا استعان بالحوار؛ ليقدم لمتلقيه أبعاداً أخرى أسهمت في اكتمال الرؤية المقصودة. وقد اعتمد

(١) سورة البقرة آية ٢١٦.

(٢) من مقالة حكمة القدر» صور وخواطر»، ص١٢٣ – ١٢٦.

الطنطاوي على معلوماتــه ومشاهداته التي عايشها بعواطفه واستقرت في وجدانه الإسلامي فنقلها إلينا بأبعادها الإسلامية كما يراها.

ويلاحـظ أن كاتبنــا قــد انتقل في تتبــع مستقص مــن الكلام عن القــدر، إلى الكلام عن الحكمة من الإيمــان به، مولداً الأفكار، ومقدماً الدلائل في سهولة لفظ، وجمال عبارة.

وإذا استخــدم الطنطــاوي الأسلوب الساخر تجســدت براعته في موضوعاته التي تحتمل التناقض الذي يثير سخريته وسخرية الآخرين، لما فيها من فساد، مثل فساد الحاكم أو فساد السياسي أو فساد غيرهما ممــن يشبههما في دورهما الريادي، كالداعية، والمدرس، والأبوين...، أو لما تضمنه من ظلم المعتدين.. أو لما تكشفه من تناقض، مثل صنيع الثــري البخيل، والشيخ المراهق، والجاهــل المتعالم... أو لما فيها من خداع وضلال، مثل كثير مــن العادات الاجتماعية الضارة التي يتمسك بها الناس.. كما في حديثه الإذاعي «أنا والإذاعة» والذي قال فيه:

«أيها السادة:

إني أشكو إليكم القائمين على هذه المحطة، فقد ظلموني وظلموكم معــي. جاؤوا بي لأحدثكم، فحسبت أني سأدخل ناديا فيه أناس أراهم، فأخاطبهــم على قــدر عقولهم، فإن كانوا علمــاء كلمتهم كلام العلماء، وإن كانــوا من العامــة خاطبتهم خطاب العامة، فــإذا هم يصعدون بي درجــاً بعد درج حتــى إذا كلّت رجلاي من الصعــود، وهممت بالرجوع، قالوا: قد وصلنا، فنظــرت فإذا نحن في أعلى طبقة من (عمارة البرق

والبريد) فتلفت أنظر أين النادي الذي سأخطب فيه!؟ فما عهدت نادياً يبنى على رأس مئذنة! وأين الناس!؟ وإذ هم يدخلوني من دهليز إلى دهليز حتى انتهيت إلى زاوية مظلمة، فأشاروا إلى باب، وقالوا:

(هُس!) إياك أن تتكلم، أو تعطس، أو تسعل، أو تخبط برجلك، أو تخشخش بأوراقك..!؟

فقلت: فكيف إذاً أتحدث!؟ أتريدون أن يكون حديثي إيماء وإشارة من غير كلام على لغة الخرسان!؟

قالوا: لا، ولكن إذا جاء دورك تكلمت.

وفتح الباب، ودخلنا غرفة صغيرة كأنها الصندوق المغلق، لاشباك، ولا باب، ولا نافذة، ولا كوة، ولا شق لدخول الهواء! ورأيت فيها مكتباً ما عليه إلا علبة قائمة على عمود من الحديد ووراءها مرآة، وقد وقف أمامها شاب يصوّت أصواتاً بعضها يخرج من حلقه، وبعضها من صدره، وبعضها من بطنه، ويتخلّع ويتلوّى مع النغمات، وقد يأتي بكلمات يلقيها إلقاء بلا نغم، ووراءه رفاق له يضربون بأعوادهم ويزمرون، فأجهدت ذهني خمس دقائق كاملات لأعرف ماذا يصنع هذا الرجل: أيغني أم يخطب أم هو مصروع معتوه يخلّط، أم يتكلم بلسان أهل مالطة!؟ فلم أهتد إلى حقيقته، ثم سكت وتقدم من العلبة أحد موظفي المحطة.

فقال: لقد انتهت الحفلة الموسيقية..

فقلت: إذاً هي حفلة موسيقية! سبحان القادر على كل شيء!..».

وبعـد هذه المقدمة التي هيأ بهـا النفوس – كعادته – لموضوعه، ونبه الأذهان لاستقباله بذكر هذه الحوادث المثيرة قال:

«... لقـد فكرت طويـلاً وحشدت قوى نفسي كلهـا، وما تعلمت من علـم وما حفظت من مسائل، لآتيكم بحديـث يدهشكم حتى تقولوا: ما شـاء الله كان! ما هذه المحاضرة؟ شيء عظيم جـداً، ولكن لم أستقر على موضوع.

قلـت: الدنيا الآن في رمضان، وخيـر الأحاديث حديث الدين، وما أسهـل الكلام في الدين في هذه الأيام! وما أيسر أن يجعل المرء نفسه مجتهـداً! وأن يـرى الرأي المخالـف لأبي حنيفة، ومالـك، والشافعي، وأحمـد بن حنبل، والليث بـن سعد، والأوزاعـي، وكل مجتهدي الأرض فيتمسـك به، ويخطّـئ المخالفين من كان منهم ومـن سيكون إلى يوم القيامة.

ولـمَ لا؟! إنه رجل وهم رجـال، والحداد والنجار والموسيقي رجال أيضـاً، فلماذا لا يكونون أئمة مجتهدين، ومادام العلم بالعربية نحوها، وصرفهـا، وبلاغتها، والفقه أصوله وفروعـه، والتفسير والحديث ليس شرطاً في الاجتهاد؟

ومادامـت الحكومة تمنع غير الطبيـب أن يكتب وصفة دواء، وغير المهندس أن يرسم مصور بناء، وتدع من شاء يتكلم في الدين والأدب بمـا يشاء؟ وما دام كل مـا يحتاجه الرجل في هذه الأيام؛ ليكون واعظاً مرشـداً يُقتدى به ويُستمع لقولـه، وتقبل يده، ويُتمسح بذيله، أن يُعرّض

لحيتـه، ويُكوّر عمّته، ويوسّع جبّته، ويطـوّل سبحته، ويتكلم كلاماً تقبله العامـة ولـو خـرّف وخلّط وضلّـل، وأكل الدنيـا بالديـن، واستغل غفلة الغافلين، لا يسأله سائل عما يفعل أو يقول!.

لا.. لن أتكلم في الدين، فالكلام فيه شديد الخطر، فأنا أخشى أن أقول الحق فأغضب الناس، أو أقول الباطل فأسخط الله. ثم إني طلبت الليلـة مرضاة السامعيـن، وأكثـر السامعين لجهلهـم بالدين، ولطول مـا رأوا مـن أدعياء العلـم فيه، منصرفـون عنه زاهدون فـي حديثه، حتـى الأتقياء الصالحـون منهم، الذين يتمسكون فـي رمضان بدينهم فيقضـون نصـف النهار في (الأمـوي) نائمين يشخـرون وينخرون، أو متحلقين حلقاً يمزحون في الجامع ويضحكون ويكذبون ويغتابون!

فلنتكلـم فـي الأدب، فالأدب أسلم عاقبـة، وأوسع حرية، وهو هين علـيّ وعلى غيري، وقد صـار الأدب الآن كوصل (ليلى) كل يدّعيه، وكل مـن يستطيع أن يكتب كلاماً في ورقة، ويجـد صفّافاً يصفّ له حروفه، وصاحـب جريـدة ينشره، فهو كاتـب بليغ. وكل من يأتـي بلفظ موزون، أو شبـه موزون فهـو شاعر مُفلّـق. وكل من يحفظ خبراً عـن أبي تمام والمتنبي، أوهوغو ولامارتين، أو شكسبير وملتون، فهو أديب أريب. وكل من عاب كاتباً كبيراً بحق أو بباطل فهو ناقد محقق!. ومن عجز عن أن يفكـر كما يفكر أبناء آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ ويتكلم كمـا يتكلمون، ففكر تفكيراً غير آدمـي، وتكلم كلاماً ليس بإنساني، فهو شاعـر رمزي! وإن في الرمزية متسعـاً لجميع الأغبياء والأدعيـاء؛ إذا شكا القراء أنهم لا يفهمون هذا الأدب الرمزي، فالقراء جاهلون رجعيون جامدون!

لا.. يا سادة! إن الأدب امتهن وابتذل، فلن أتكلم في الأدب!

أفأتكلم في السياسة؟ إن السياسة في بلدنا أن ينتقد الرجل قوانين الحكومة ويتكلم في رجالها، ويتهم كل أمين يكرهه بالسرقة، ويصف كل سارق يحبه بالأمانة، ويكون له رأي في الملك عبد اللّه، وابن السعود، وأتلي، ومولوتوف، وترومان! ويرسم أحسن الخطط لمحاربة الغلاء، وتنظيم ملاكات الموظفين، وحل مشكلة فلسطين، وإدارة ألمانيا المحتلة! ويقترح وجوه الإصلاح للجامعة العربية، وهيئة الأمم المتحدة، ولو كان تاجراً أمياً، أو سائق ترام، أو شيخ ضيعة، يضع بصمة إبهامه مكان التوقيع على دفاتر الانتخابات!

لا.. لن أتكلم في السياسة. أفأتحدث إليكم في الفلسفة؟ لقد اشتغلت بها حيناً، وأنا أستطيع أن أتفلسف متى أردت، ولا يكلفني ذلك إلا أن أقول ما لا أفهمه أنا ولا القراء! وأن أنظر إلى كل ما تواضع عليه الناس من أفكار وعادات، فأقيم لهم أدلة غامضة لا تدرك، على أنه خطأ، وأن الصواب هو عكسه!

وبعد – يا أيها السادة – فاعلموا أن وقت حديثي قد انتهى، وأني قد خدعت القائمين على المحطة فأطعتهم، وكلمت العلبة ربع ساعة، وقبضت الأجرة، ولم أقل شيئاً. وكذلك يكون الرجل الناجح في هذه الأيام، يأخذ الأجرة من غير عمل، ولنا في ساداتنا العلماء الأعلام مدرسي دائرة الفتوى قدوة غير حسنة.

ولا تعجبوا – يا سادة – فكل الناس تاجر يعرض بضاعته، ونحن

– معشر الأدباء – بضاعتنا الكلام، وكل كلام له ثمن، فهاتوا كثيراً تسمعوا جيداً، وإلا فالبضاعة كلها من هذا النوع»[١].

وواضح أن سخرية الطنطاوي هنا ليست سخرية بالأفراد، بل هي سخرية من أعمال سيئة، وسلوكيات منحرفة، قام بها بعض الناس، ولم يكن مبعثها خصومات شخصية، أو أغراض نفسية، وإنما كانت لرغبته في إصلاح الواقع وفق منهج الإسلام، وبذلك ابتعدت سخريته من السخرية التي حرمها الله ونهى عباده عنها بقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ ﴾[٢].

وقد بدا هنا أن سخرية الطنطاوي سخرية موظفة، تهدف إلى التهذيب والتقويم من خلال تسفيه سلوكيات منحرفة، ومناهضة تقاليد باطلة، وإبراز نقائص الواقع وتضخيمها، والهزء بها في محاولة لاستهجانها، وتشويهها، واستبدالها بما هو صحيح[٣].

وقد تمكن الطنطاوي بهذا الأسلوب الساخر من إبراز المعايب، ولفت النظر إلى المثالب المتعلقة بتدني الأذواق، والتلاعب بالدين، ورخص الأدب، والتخليط في السياسة، والإهمال في العمل، بنقد مهذب مثير، وبطريقة طريفة بديعة، تحرك الفكر إلى المقارنة بين الواقع السيئ وما ينبغي أن يكون عليه هذا الواقع. ولهذا كثرت المفارقات

(١) صور وخواطر «أنا والإذاعة»، ص١٧٣ – ٧٨.

(٢) سورة الحجرات من الآية ١١.

(٣) الأدب الإسلامي «الذكريات أنموذجا» أحمد بن علي آل مريع، ص ٩٠، العددان (٣٤، ٣٥).

obeikandl.com

الواقعية، والمقابـلات البيانية التي تثير الدهشة، وتدعو إلى الضحك، وتدفع إلى السخرية والاستهجان[١].

كما اتضح توظيف الطنطاوي لسخريته في طرح رؤيته بظرف وخفة مرحة، وسرعة بديهة، وبصر نافذ، وخيال خصب، ومقدرة فنية مكنته من الربط بين ما يرى وما يثير من هذا الذي يراه معتمداً في سخريته على ما يثير الدهشة؛ لمعرفته بطبيعة الإنسان الذي يُدهش بكل جديد وغريب. ومعتمداً ـ أيضاً ـ على الكلمة الرشيقة التي أدّت دورها في إثارة السخرية، وإصابة المعنى.

فألفاظه – كما يلاحظ – عذبة، وكلماته مألوفة موحية، وتراكيبه يسيرة، وصوره قريبة، ومعانيه واضحة بديعة، ينتقل بينها في تلطف حسن، وتشويق جميل.

ويلاحظ كثرة اعتماد الطنطاوي على الأسلوب القصصي في معالجة موضوعاته؛ ليتمكن من بث الحياة والحركة في أشخاص القصة، كي تنمو المواقف فيها، وتتوالى أحداثها بطريقة طبيعية، مع الحرص على تحليل ما قد ينشأ في أثناء ذلك من العواطف، أو الانفعالات التي يريد نقلها لمتلقيه[٢].

من ذلك مقالته «ثمرات درس الأخلاق»[٣] يقول فيها:

(١) فن المقال في الأدب العربي الحديث، د/ إبراهيم عوضين، ص ٢٦٣.

(٢) فن المقال في الأدب العربي الحديث، د/ إبراهيم عوضين، ص ٢٧٨،٢٧٧.

(٣) مقالات في كلمات، ج ١، ص٢٠٠.

opeikandi.com

«... ونظرت من الشباك أتسلى، وكان تحته كومة رمل أبيض وضعها جارنا، ووكّل رجلاً وولده بنقلها إلى حديقته، فأقبل تلاميذ المدرسة، فقال عفريت منهم: تعالوا نسرق من هذا الرمل! فقالوا: إن الولد يرانا. قال: نعمل مثل الراعي الكذاب الذي قال لنا المعلم قصته، حين نادى: الذئب! فجاؤوا فلم يروا شيئاً، وضحك منهم، فلما طرق الذئب حقيقة ونادى لم يجئه أحد! قالوا: وكيف نفعل!؟ قال العفريت: انظروا!

وأقبل كأنه يريد أن يسرق، فنادى الولد أباه، فترك عمله في الحديقة وأقبل، فلم ير شيئا، ورأى التلاميذ يضحكون فرجع، وجعل التلاميذ يأخذون من الرمل والولد ينادي فلا يردّ أبوه ولا يصدقه...

وكانت هذه ثمرة درس الأخلاق في المدرسة!!»[1].

فيلاحظ هنا أن الطنطاوي قدّم موضوعه في أسلوب قصصي استعان فيه بالسرد والحوار؛ ليكشف لنا عن معاناته النفسية (بتلك القيمة الأخلاقية في الدرس المدرسي) حين عرضت مجردة من مقاصدها الشرعية، وأبعادها الإسلامية التي ينبغي أن تتبني على التخويف من الله، ومراقبته، والإشعار بعظمته... قبل التخويف من الناس، حتى لا تفقد القصة هدفها وتضر من حيث يراد بها النفع!

وقد استطاع الطنطاوي من خلال هذا الأسلوب القصصي المصوّر أن يولّد في نفس القائمين على التعليم والتوجيه الخوف

---

(١) السابق، ١/٢٠٠.

والحذر من عرض الأخبار مجردة من أبعادها الإسلامية، وأهدافها التربوية، منبهاً لخطورة ذلك، برسم تلك الصورة المعبّرة عما يريد، وقد كان يقول:

«يجب على المعلِّمين أن يدلّوا التلميذ على الطريق السويّ، والخطّة المستقيمة... أن يعلموه من هم أجداده، وما هي حضارتهم، وأن يصبوا في نفسه أخلاق العروبة، وآداب الإسلام، وأن يحببوا إليه العلم»[١].

وهكذا نرى الطنطاوي - بدافع من موهبته وإحساسه الفني يختار من الأساليب ما يتناسب مع موضوعه، ويتلاءم مع إحساسه به، سواء كان هذا الموضوع عقدياً، أو اجتماعياً، أو سياسياً، أو فكرياً... وسواء كان صحفياً، أو حديثاً إذاعياً على نحو ما رأينا.

وكما نوّع الطنطاوي في أدائه التعبيري نوع في مستوى أسلوبه جزالة وسهولة، وعمقاً وقرباً.

ومن هنا «يجب أن يفرق القارئ بين أحاديثه التي خاطب بها العامة، وأحاديثه التي قدمها للخاصة، فكل واحد من هذين له طبيعته الخاصة به.

وكاتبنا علي الطنطاوي - بدافع من توجّهه الإسلامي، وحرصه على توصيل رسالته - يعي قدرات السامعين والقارئين لكتاباته؛ ولذا فإنه لا يؤثر طبقة على حساب طبقة أخرى، بل يصنف وينوع أحاديثه، فتجيء مرة متفقة ومستوى العامة، وأخرى توافق الخاصة.

(١) من حديث النفس، علي الطنطاوي، ص٥٢.

وإن دلّ هذا على شيء فإنما يدل على كثرة سامعيه، وتنوع المتلقين لكل ما ينشئه[١].

ومن يتأمل ألفاظ الطنطاوي يراها - في عمومها - قريبة في بلاغتها، سهلة في فصاحتها، مختارة بعناية اختيار متذوق قوي الإحساس بمواطن الجمال، وأسرار اللغة.

وجُملُه تموج بالحركة والحياة والإحساس الذي يدل على أنها منتقاة بملكة قادرة تعرف وجوه اللغة، ومرامي الكلام.

وتراكيبه تتسم بانسيابية جاذبة، وإسهاب مطرب، وسلاسة آسرة، وبناء محكم بليغ من صدق إحساسه وقوة انفعاله التي يستشعر منها المتلقي عذوبة ورقة، وسمواً وإشراقاً، وخفة ومتعة، تهز النفس هزاً، وتدفعها إلى الإقبال والاستزادة دون ملل أو فتور.

ويلاحظ إسلامية أسلوب الطنطاوي من خلال عفة ألفاظه، وسمو عباراته التي تدل على تأثره بالأداء القرآني والبيان النبوي في سعيه لأداء رسالته الإصلاحية والدعوية التي ترتقي بأذواق الجماهير وأفكارهم، وتحافظ على مشاعرهم وأخلاقهم... ومن هنا رأيناه يتفنن في سوق الخبر، مبتعداً فيه عما يجرح العفاف، أو يخدش الحياء، أو يثير الاشمئزاز، معتمداً على موهبته في توصيل ما يريد باللفظ الموحي والعبارة الدالة، أو ترك مساحة منقطعة، وكأنه يقول شيئاً لا يستطيع

(١) الأديب السوري علي الطنطاوي، د/ عبدالحميد شعبان، ص١٢.

أن يبـوح به، أو يطلب من متلقيه أن يتصـور ما يفضي إليه السياق من دلالة يمنعه حياؤه وذوقه من الإفصاح بها![١].

مـن ذلك تعبيره في مقالتـه «الحب والزواج» عما يريده الرجل في نفسه من المرأة بعبارة عفيفة نظيفة لها دلالة على ما يريد. يقول:

«... لا يـا أولادي، لا والله العظيـم، إنه لا يريـد جمالها لعينه، ولا حديثها لأذنه، ولكن يريد قفلها لمفتاحه!.»[٢].

ومن ذلك ما حكاه عن الشيخ الذي ثبط العلامة سليم البخاري عن التأليـف حين قدم له رسالـة صغيرة صنعها في المنطق فقال له: «أيها المغـرور! أبلغ من قدرك أن تصنف وأنـت... وأنت... ثم أخذ الرسالة فسجّـر بهـا المدفـأة.. فكانت هـي أول مصنفـات العلامـة البخاري وآخرها!»[٣] فالسياق يوحي بأن هذه المساحة المنقطعة شتائم وسباب أو سخرية واستهزاء، ينأى الطنطاوي عن ذكرها.

وتبـدو وجهـة الطنطـاوي الإسلامية فـي أسلوبه مـن خلال حبه للفصحـى، والتزامـه بهـا، واجتهـاده في بعض قواعدها بمـا يوافق الصواب، مصدراً في ذلـك أحكاما وآراء نقلت عنه، واستحسنها كثير من أساتذة اللغة ومحبيها[٤].

(١) دراسات في النص الشعري «العصر الحديث». د/ عبده بدوي، ص٧٢، دار قباء، القاهرة.

(٢) «الحب والزواج»، مع الناس، ص٥٣.

(٣) «التشجيع»، صور وخواطر، ص١٣٠.

(٤) مـن مقالـة قراءة فـي آثار الشيخ علي الطنطـاوي، ص١٠٠، أحمد بن مسفـر بن معجب، مجلة المنهل العدد ٥٦١، المجلد ٦١ رجب ١٤٢٠هـ. انظر مقالات في كلمات ٢/ ١٩٦ وما بعدها.

وبدافع إيمانه بقدرة اللغة العربية على احتواء كل جديد، فقد شارك في تعريب بعض المصطلحات الأجنبية منبهاً عليها في هوامش ما كتب.

من ذلك: كلمة (الراد) تعريباً لمصطلح (الراديو)؛ لأنه يرد الصوت على المستمع[١].

وكلمة (الرائي)، وضعها بديلاً لمصطلح (التلفزيون)، إذ إنه اسم فاعل بمعنى مفعول أي المرئي[٢].

وكلمة (التكنولوجيا) يرى أن نقول بدلاً منها (تقانة) على وزن نجارة، وحدادة، وطيانة، وهو شبه قياسي[٣].

ويلاحظ أنه – أحياناً في مخاطبة العامة – يجري لفظاً عامياً، أو عبارة متداولة، أو مثلاً سائراً، أو نحو هذا.. مما يخف وقعه على الأسماع، ويعين على بيان حقيقة المراد. وهذا من منهج الداعية الناجح، «وهذا هو النبي ﷺ كان يدخل في كلامه ألفاظاً أجنبية، ويعدل عن لهجته الأصلية؛ ليخاطب وفود القبائل بما يفهمون من اللهجات»[٤].

---

(١) راجع هامش «ذكريات علي الطنطاوي»، ج ١، ص٢٥١.

(٢) راجع هامش «ذكريات علي الطنطاوي»، ج ١، ص٢٥١.

(٣) السابق، ج ٦، ص٣٢.

(٤) راجع «تذكرة الدعاة» للبهي الخولي، ص٣٩٠، دار التراث، ط ٨، القاهرة ١٩٨٧م.

obeikandi.com

فمن سوقه العامي الفصيح «وعلا العياط والزياط»[١].

ومن سوقه المثل على سبيل الاستئناس وتأكيد المعنى: «وإلى متى تكرر هذه المهزلة «أوسعته ضرباً وأودى بالإبل»[٢].

ويلاحظ أن هذه المظاهر الإسلامية والخصائص الأسلوبية لا تختلف في مقاله الذي أعده للنشر عنها في حديثه الذي أعده للإذاعة؛ لذلك كان ينشر من مقالاته الإذاعية في المجلات.

ومع ذلك يمكن تلمس الفروق الدقيقة بينهما:

«فالمقال الإذاعي يبدو عليه طابع السرعة في التنسيق بين الأفكار، وترتيب النتائج على المقدمات، وأسلوبه فيه لا يرقى إلى أسلوبه في المقال المعد للنشر، أو البحث الذي يوفر له الوقت الكافي لترتيب الأفكار، واختيار مستوى أرقى من الأسلوب»[٣].

ولعل السبب في ذلك هو استجابة الطنطاوي لما يستلزمه الحديث الإذاعي من تقريب الفكرة، وسهولة العبارة؛ لأنه يقدمه لجماهير مختلفة الثقافة، متفاوتة الإدراك، أغلبها من العامة الذين لا تستهويهم جزالة الأسلوب، وعمق الفكرة بقدر ما يستهويهم قرب العبارة، وحسن الإشارة، وطرافة الفكرة ووضوحها.

---

(١) مقالات في كلمات، ص٢٢١.

(٢) السابق، ١/١٢٩. الفاخر لأبي طالب المفضل بن مسلمة بن عاصم، تحقيق عبد العليم الطحاوي، ج١، ص١٧٦، ط الهيئة المصرية العامة.

(٣) الأديب السوري علي الطنطاوي، د/ عبد الحميد شعبان، ص١٣.

كما أنه في حديثه الإذاعي كان ملزماً بأن يفرغ شحنته الوجدانية، أو يقدم رؤيته الفكرية، أوعرضه المصور في مساحة زمنية لا يتجاوزها، مما فرض عليه أن يكون في كتابته لـه دقيق العبارة، موجز الصياغة، مالـكاً أدوات التأثيـر اللفظية؛ بحيث يكون لألفاظـه إيقاع مخصوص، يبلغ به مناط التأثير في المتلقين، على اختلاف مشاربهم»[1].

ولقـد كتبـت لأحاديث الطنطـاوي الإذاعية القبـول والنجاح، مما جعلـه بحق مـن أفضل المحدثين الإذاعيين؛ حيـث نجح في الاستفادة مـن موهبتـه الأدبية والإلقائيـة، وتوظيف ثقافته التـي وسعت الماضي والحاضـر، والشرقـي، والغربـي، والأدبـي، واللغـوي، والسياسـي، والاجتماعـي، والدينـي، والدنيـوي.. فـي خدمـة موضوعاتـه وتحقيق أهدافه، في قرب يلتصق بواقع الناس ويمس حياتهم.

كمـا كان لروحه المرحة التـي لم تكن تفارقـه، وبساطته العجيبة التـي يواجه بها جمهوره، والتي تتناسب مع البساطة التي كان يطبع بها لغته وأفكاره ومعالجته لموضوعه أثر بيّن في أسر النفوس وإقبالها.

بالإضافة إلى ذلك، حركية أسلوبه، التي تبعث في مشاهده الحياة، وكأنها متحركة محسوسة، وقد أضاف إلى حركية أسلوبه حركية إلقائه وتحديثه، والتي تمثلت في تفاعله مع الكلمات، وإحساسه بها، واختياره لكل لفظة ما يناسبها من لهجة، وتعبير وإشارة، وأداء مؤثر، يصعب أن يتوافر لكثير من المتحدثين؛ ليبلغ بذلك ما يريد.

(١) فن المقال في الأدب العربي المعاصر، د/ إبراهيم عوضين، ص١٨٧.

فكيف لو أضفنا إلى المظهر الشخصي لعلي الطنطاوي تاريخه العجيب، الحافل بالوقائع الجريئة التي لا تصدر إلا عن مثله، والخطوب الجسام التي لا تقع إلا لمثله، والمغامرة المتشعبة الجوانب التي ندر أن خاضها أحد غيره.

إن تاريخ الرجل مضافاً إلى حاضره، وإلى شخصيته، وإلى خلقه المتفرد، وأسلوبه المميز، وفكره العميق، ومنهجه العقلي، وتجربته الإنسانية الفريدة، تتعاضد جميعاً؛ لتمنح أحاديثه عند المستمع أو المشاهد قوة تأثيرية نافذة، ولقد لمسنا هذا الأثر القوي من مجرد (قراءتها) فيما مرّ من نماذج[1].

وبهذا يتبين أن حس الطنطاوي الإسلامي، وحرصه على أداء رسالته الدعوية جعله يتخير الأسلوب الأنسب، والطريقة المثلى التي تفي بغرضه وتحقق أهدافه في سمو وإبداع.

ومن هنا كانت معانيه راقية صافية، بعيدة عن الخلط، والغموض والاضطراب، على أن معانيه هذه لم تكتسب صفاءها، وروعتها، وتأثيرها من سلاسة ألفاظه، وعذوبتها فحسب برغم براعته في ذلك، ولكن من قوة إحساسه بها، وصدق إيمانه وعواطفه في التعبير عنها.

لذلك قلما وقع في ضعف التعبير الذي يؤدي إلى اختلاط المعنى، أو قصوره.

---

(١) الأدب الإسلامي (حركية الحديث الإذاعي والبعد الرابع للأدب) د/أحمد بسام ساعي، ص٦٧ – ٧٠، العددان (٣٤، ٣٥).

obeikandl.com

كقولـه من مقالته «أنا والنجوم»: «حتى لم يبق لي أنا، وإنما صرت أنـا الكـون كله!»[١] فهذه العبـارة قد توهم في الأذهان غيـر ما أراده؛ لذلـك حاول استبعاد هذا الوهم بالتعليق في الهامش بقوله: «أي الكون المخلـوق لا الخالق، وأعـوذ بالله أن أقول بوحدة الوجـود التي قال بها أقوام فضلوا وأضلوا»[٢].

ومعلـوم أن الـكلام إذا احتاج إلى توضيح وأوهـم غير المراد فقد البلاغـة وخرج عن الفصاحة. وهذه الهنات القليلة لا تغض من أسلوب الطنطـاوي الذي يعد مـن أنقى وأقـوى الأساليب المنشـودة من أدباء المسلمين، والمعبرة عن عواطفهم ومشاعرهم وما يطمحون إليه[٣].

(١) من حديث النفس، علي الطنطاوي، ص٢١.

(٢) السابق، هامش ص٢١.

(٣) الأدب الإسلامـي «علـي الطنطـاوي كما يمثلـه لي الخيال مـن خلال كتاباتـه» د/محمد أحمد هيشور، ص ٦٥. العددان (٣٤-٣٥) ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢ م.

obeikandi.com

obeikandl.com

الفصل الثالث

مظاهر الاتجاه الإسلامي
في وجدان الطنطاوي

حين تمتزج العواطف مع ما بداخل الإنسان من آثار الفطرة، أو من آثار ما قد يحل محل الفطرة من العوارض الطارئة ينشأ الوجدان «الذي هو مزيج من الانفعالات والعواطف الدائرة في محور الفطرة الإنسانية، أو محور العوارض الطارئة عليها.

والأديب الموهوب هو الذي يستطيع أن ينقل ما في وجدانه من المعاني إلى صور يعبر عنها بما يمتلك من ألفاظ، وتراكيب، وصيغ فنية مشحونة بالأحاسيس، والمشاعر، والإيحاءات التي تلائم المتلقي، وتعبر في الوقت نفسه عما يجده الأديب في نفسه.

على أن هذا الخيال المعبر عن الوجدان من خلال الصور حين ينفلت من إطار الدين والعقل تحت أي عوارض، ويبتعد عن واقع الحياة الدينية، أو الاجتماعية، أو الذاتية، أو ما ينبغي أن تكون

obeikandl.com

عليه هذه الحياة، يسقط في مهاوي الشذوذ، ويستسلم لدواعي الانحراف[١].

ويمكن التعرف على الاتجاه الإسلامي في وجدان الطنطاوي من خلال أدبه في المباحث الآتية:

المبحث الأول: وجدان الطنطاوي في خطبه.

المبحث الثاني: وجدان الطنطاوي في قصصه.

المبحث الثالث: وجدان الطنطاوي في تراجمه.

المبحث الرابع: وجدان الطنطاوي في مقالاته.

(١) في النقد الأدبي الإسلامي، د/ إبراهيم عوضين، ص ٢٥٦، ٢٥٩.

opeikandi.com

obeikandi.com

المبحث الأول

وجدان الطنطاوي في خطبه

إن مـن يتأمل وجـدان الطنطاوي فـي خطبه يراه صادقـاً، منفعلاً بالإسـلام في عطائه الشعـوري، والتعبيري، والفكري، ممـا أضفى على صـوره، وألفاظه قوة وجمالاً، وإبداعـاً وشعوراً كشف الخفايا المجهولة، والأحاسيس المبهمة في صور آسرة، استهوت القلب، وامتلكت النفس.

وليس السر في هذا هو جمال الأسلوب، أو قوة العبارة، أو حسن الأداء فحسـب، وإن كان لكل ذلك دوره الفاعل في إصابة الهدف، ولكن السر الحقيقـي يكمن في تحرر الطنطاوي فـي خطبه من التكلّف، والتصنّع، وإرسالـه نفسه علـى طبيعتها؛ لتعبر عـن أحاسيسهـا، وعواطفها التي مبعثها الإيمـان الصادق، ودافعها الاستجابة لنـداء ضميره، وعقيدته الإسلاميـة في تجاوبها مـع أحداث عصره، وأصداء واقـع أمته، والتي ألهبـت مشاعره، وحركت قلبه، وأفاضـت موهبته حتى انثالت خواطره بالألفـاظ المعبـرة، والمعاني المؤثـرة، التي وقعت في قلـوب سامعيه؛ لأنها خرجت من قلبه.

ويُلمس هـذا الصدق الوجداني المؤثر عنـد الطنطاوي من خلال إيمانـه، وانفعاله بما يقول، وكذلك من تناسب ألفاظه ومعانيه لعواطفه

وأحاسيسه، وإن تنوعت العاطفة ما بين الرضا والغضب، فصدق التعبير هو الفيصل في الحالتين، فعاطفة الرضا تبدو من خلال عذوبة ألفاظه، ورقة معانيه، وهدوء عبارته، حين يحاول استمالة القلوب، وتطويع النفوس، وإثارة عواطف الجماهير لحملها على القبول والإقناع.

وتبدو تلك العاطفة واضحة في افتتاحياته ومقدماته لخطبه، والتي كان حريصاً فيها على تقديم ما يستأنس به متلقيه، وما يزيل به وحشته؛ تهيئة لاستقبال موضوعه واستمالة قلبه؛ بذكر حادثة خاصة وقعت له، أو خبر سمعه، أو ملاحظة لاحظها في أثناء عمله.. متوخياً فيها ارتباطها بالموضوع، وتلوينها بلون نفسه، من استبشار، أو مزاح، أو سخرية أو غير ذلك..

وهذا لا يكون إلا من وحي الطبع الصادق، وإلهام الذوق اليقظ(١).

وذلك كقوله في مقدمة خطبته في تأييد الانفصال:

«وبعد فلقد كدت أثني على القائمين بهذه الثورة، وأذكر لهم أنهم اتبعوا فيها طريق العقل، وسلكوا سبيل الإخلاص، وأنهم ضربوا للناس مثلاً ما سمعنا به من قبل حين نفضوا أيديهم من الحكم، وعادوا إلى ما كانوا عليه من قبل، خاضوا المعركة، وعفوا عن الغنائم...»(٢).

---

(١) تذكرة الدعاة.البهي الخولي، ص٣٨١.

(٢) ذكريات علي الطنطاوي، ٦/ ٨٤.

فهـدوء العبارة هنا ورقـة المعاني، وعذوبة الألفـاظ عكست - كما هـو واضـح - عاطفة الرضا والإعجاب بما قام بـه الضباط في ثورتهم، كما يلاحظ انفعال الطنطاوي، وعاطفته الغاضبة المتجاوبة مع وجهته الإسلاميـة من خلال قوة ألفاظه، وشدة وقعها، وقرعها للسمع، وتهويل معانيها، وتلاحق عباراتها، وذلك حين يريد التنفير من شيء، أو نقده، أو تغييره، والثورة عليه.

من ذلك تعبيره الساخط، وعاطفته الغاضبة على المحتل البغيض، وأمته المتراخية في مواجهته. يقول من خطبة «أسبوع الجزائر»:

«وتعـود جيوش الاستعمار معقـوداً بنواصيها العـار؛ لأنها ظفرت بالأطفـال والنساء، وأصلتهم نـار المدافع والرشاشـات، إنهم يمحون القرى محواً، ويبيدون أهلها إبادة...»[(١)].

وقوله: «الجزائر تناديكم، المجاهد الذي نفدت ذخيرته يناديكم، المرأة التي أرادوها على الخنا... تناديكم»[(٢)].

وقوله: «فهل سمعتم بأمة تعين عدوها على نفسها؟ هل سمعتم بأمة تنـام على دويّ المدافع؟ هل سمعتم بأمـة تغنّي على أنين المحتضرين من أبنائها، وترقص على قبور شهدائها»[(٣)].

---

(١) «أسبوع الجزائر» هتاف المجد، ص٢٢١.

(٢) السابق، ص٢٢٦.

(٣) السابق، ص٢٢٦.

فهـذه الألفاظ الصاخبـة، والعبارات الغاضبة بمـا تحمله من دلالات ومفارقات عجيبة، تنطق بالأسى، والحزن، وتجسّد المرارة، واللوعة، وتعكس الاستنكار والعتاب، اللذيـن يعتملان في صـدره، ويستوليان على وجدانه، ويحملانـه علـى إثـارة النـاس لأحاسيسـه، وتجاوبهم معه فـي انفعالاته؛ ليحرك همتهم، ويثير غيرتهم بهذا الأسلوب الاستنفاري القوي.

ومن ذلك تظهر مهارة الطنطاوي الخطابية، وعاطفته القوية المستجيبة لأحاسيسه الإسلامية في استعمال كل لفظ في موضعه المناسب.

فاستعمل الجزل منها ـ أي: اللفظ المتين على عذوبته في الفم، ولذاذته في السمع ـ في التخويف والتهويل، والتقريع ووصف المخازي والأهوال.

والرقيـق منهـا أي اللطيف الرقيـق الحاشية النـاعـم الملمس في موضعـه في المدح واستعطاف النفوس، واستجلاب المودة، واستمالة القلوب مستلهماً في ذلك الأداء القرآني في إلباسه لكل معنى ما يناسبه من الألفاظ(١).

كما يبدو إسلامية وجدان الطنطاوي في خطبه من خلال اتزان أفكاره، وأساليبه، والتزامها بمنهج الإسلام في تقبيح القبيح، وتحسين الحسن.

بالإضافـة إلى أنه كان يتكلم عن إيمان عميق، ووجدان صادق لوّن ألفاظـه وصـوّره بلون نفسه في تـوازن واعتدال؛ ولذلـك لم يسرف في

---

(١) المثـل السائر في أدب الكاتب والشاعر، لابن الأثير، ج١، ص١٥١، ط المكتبة العصرية، بيروت ١٤١١هـ، ١٩٩٠م.

المدح ولـم يتزيّد في الهجوم، ذلك الذي ينفّـر من الخطيب، ويضائل من مصداقيته.

ومن هنـا كانت كلمات الطنطاوي حية تستمـد قوتها من صدقها، وشدة إيمانه بها.

كما كان لسيرة الطنطاوي الحسنة وما عرف به من جرأة وشجاعة في إنـكار المنكر دعمًـا قوياً لتأثيـر كلمته ومصداقيتها فـي النفوس، بالإضافـة إلى أن استجابة الطنطـاوي الوجدانية لإسلامه في اتصاله بالناس جعلته قريباً جداً منهم، لا يكلمهم من برج عاجي كما يفعل بعض الخطباء، وإنما ينـزل إليهم ويلمس جراحهم، ويفرح لأفراحهم، فترى لكلماتـه أثراً بينهم، قلّ أن يصل إليه خطيـب أو متحدث. فهو يخاطب الحاكـم، والعالـم، والأديـب، والأمـي، والصغيـر، والكبيـر، والرجل، والمـرأة، ومن ثمّ فهو خطيـب الشعب يستلهـم موضوعاته من الشعب بهدف النهوض والارتقاء به[١].

وإذا كان الخطيب ـ كما يقول الجاحظ ـ مثل الطنطاوي يريد إصلاح شأن الأمة ومصلحة حال الخاصة، وكان ممن يعمم ولا يخص، وينصح ولا يغشـ، وكان مشغوفا بأهل الجماعة، شَنِئـاً لأهل الاختلاف، جمعت له الحظوظ من أقطارها، وسيقت إليه القلوب بأزمتها، وجمعت النفوس المختلفة الأهواء على محبته، وجبلت على تصويب إرادته..[٢].

(١) الأدب الإسلامـي «الشيخ علي الطنطاوي الخطيب الأديب، عبد الباسط أحمد، ص٩٨ العددان (٣٤-٣٥) ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م.

(٢) البيان والتبيين ـ الجاحظ ٢/٤، دار الكتب العلمية، بيروت.

obeikandl.com

المبحث الثاني

وجدان الطنطاوي في قصصه

أما وجدان الطنطاوي في قصصه، فتبدو ملامحه الإسلامية في تصوير شخصياته، ورسم أبعادها الإنسانية والفكرية حين تسعد بالإسلام، وتحيا بقيمه، أو تشقى بالانحراف وتتكسر بذُلّه.

ففي قصة «قضية سمرقند» نلاحظ وجدان الطنطاوي الإسلامي الذي أبرز الحالة النفسية للكهنة، وما تضمره من كيد للمسلمين، وتخطيط لإضعافهم.

وكذا في تصويره لانفعالات السمرقندي تجاه حاكم المسلمين بعدما رأى من اتساع ملكه وعظمة سلطانه. فقال:

«وأقبل على أول إنسان لقيه يريد أن يسأله عن القصر، فاعترته هيبة شديدة، وخاف من مواجهة الرجل الذي يحكم نصف الأرض، والذي يبلغ مُلك (شاهنشاه العظيم) ولاية واحدة من ولاياته، يحكمها أمير من أمرائه... وذكر كيف كانت تتصدّع الأفئدة خوفاً من لقاء كسرى، وتقف الملوك على بابه، وكيف كان يقتل على الظنة، ويأمر بضرب عنق الرجل يقول كلمة لا تعجبه، أو يأتيه في ساعة يكون فيها لقس النفس، ضيق الصدر! وتلمّس عنقه، وتخيّله من الفزع مضروباً.

وتصــور رأسه طائراً عن جسده فطارت معه حماسته، وشجاعته، وكره لقاء الخليفة، وفكـر في العودة إلى بلده سالماً قبل أن يحيق به مصاب لا ينفعه معه مجد يناله، ولا وطن يحرّره ولا كاهن يرضيه...

وغرق فــي مخاوفه وأفكاره وجعل يسير علــى غير هدى، وكلما مرّ على قصر من قصور دمشق، ورأى بهاءه، وعظمته، ظنه قصر الخليفة، فخفق قلبه، واضطرب...»[1].

فوجدان الطنطاوي المنفعل بالإسلام بدا في إبراز هذه المخاوف التي تجسـدت للسمرقندي، والتي عكست وضـع المسلمين الحضاري، وما له من وقع وهيبة ومخاوف في قلوب أعدائهم.

وكـذا بـدا هذا الوجـدان في إظهـار شخصية المسلـم ـ الذي دلّ السمرقنـدي على دار الخليفـة ـ في حلمه وعلمـه، وتعاونه على الخير، وتلطّفه في تبليغ الدعوة والهداية إلى طريق اللّه حتى أسلم الرجل على يديه، وظل يمده من الإسلام بما يمكنه في قلبه.

ثـم في تصويـره لشخصية الخليفة عمر بن عبـد العزيز رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في تواضعه، وعدله، وزهده، ورفقه، وسعادة الناس به...

وكذا في إبرازه إعجاب السمرقندي بالإسلام وجمال تعاليمه ـ بعدما تعرّف عليه ـ قال مصوراً هذا الإعجاب:

«... وتبعـه يفكّر في جمال هـذا الدين، وسموه، وقد زالت الغشاوة

---

(١) قصص من التاريخ، علي الطنطاوي، ص٧٤ – ٧٥.

عـن عينيه، فأدرك الآن سـر هذه الفتوحات، وهذه القـوة التي لم يقم لهـا شيء. أين هذه الديانـة السافرة الواضحة التي تجعل كل واحد من أتباعهـا كاهناً لها، ورجل دين... مـن تلك الديانة المجهولة الخفيّة... أين!؟»[١].

ويبدو وجدان الطنطاوي بملامحه الإسلامية في إبرازه شخصية القاضـي المسلـم في تواضع هيئتـه، وكمال عدالته، ونفـاذ كلمته التي خرجت انتصاراً للحق الذي كان لأعدائه وأعداء أمته في تلك القضية؛ إذ إنـه يدور مع الحق حيـث دار، ويستسلم للإسلام بما حكم وعلى من حكم.

وفي إبرازه ما للعدل من أثر في النفوس، وفتح للقلوب، حيث فُتحت (سمرقند) ودخلت في الإسلام ببركة العدل لا بقوة السيف.

وفـي قصة «تـاج كسرى» يُلاحظ إسلامية وجـدان الطنطاوي من خلال ما رسمه لأشخاصه من أبعاد وملامح.

فهــذا سُـراقـة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قبــل إسـلامـه بمـلامحه؛ حيــث يدفعه الطمـع والغـرور. وهـو الفارس القـوي. لمطاردة النبـي ﷺ وصاحبه، واللحاق بهما؛ لنيـل الجـائــزة التي رصدتها قريـش لمن يـأتي بهما، فمـا كاد أن يصــل إليهمـا حتى أحس بقـوة هائلة تمنعه مـن الوصول إليهمـا، فركبته المخاوف، ورجع من حيث أتـى مكتفياً بوعد النبي ﷺ

(١) قصص من التاريخ، ص٧٦.

لـه بلبس سواري كسرى، هذا الوعد بالذات وفي هذه الظروف الحالكة كان لـه وقعه على نفس سراقة، وبُعده في وجدان الطنطاوي، فعبّر عنه وأبرزه بقوله:

«ورجـع سراقـة، وقـد اجتمعـت عليـه المتناقضـات مـن الأفكار والعواطـف، وهاج فـي نفسه الطمع، والخوف، والأمـل، واليأس، فجعل يقهقـه في هـذه البادية ويصرخ كمـن به جنّة! ولم لا يجـنّ!؟ وقد كان يأمل أن ينال الغنى، ففاته ما كان يأمل، وقد فتحت فاها لتبتلعه الأرض، فنجا، ولم يصدر بعد هذا كله إلا بوعد دونه خرط القتاد، وخرق النار، وخوض البحار.

مـاذا!؟ أيعدني محمد سواري كسـرى.. شاهنشاه ملك الملوك... وهـو يقطع الصحراء هارباً من قومه مختفياً في غار ليس معه إلا رجل واحد!؟

أيبتلع هذا الغار مُلك كسرى، وجبروته، وجلاله!؟

أتنتصـر هذه الصحراء على ملك كسـرى وجنّاته وأنهاره؟! أيغلب هـذان المهاجران كسرى علـى خزائنه وجنوده وبـلاده؟ ولو أن العرب اجتمعـت كلهـا، ورمت عن قوس واحدة ما نالت مـن كسرى منالاً، على أنهـا لن تجتمع العرب أبداً، ومـن ذا الذي يجمع مضر وقحطان، وبكراً وتغلب، وعبساً وذبيان!؟ وأين يذهب ما بينهما من دماء!؟

أمـا إن قريشاً كانـت أدرى بصاحبها حين قالت عنه ما قالت، فما أراه ينجـو مـن قريش، ويفلت من أذاهـا حتى يكون له ملـك كسرى..

وإنـه والله ما يريد إلا أن يتركنا -نحـن أيضاً- مجانين! وانطلق يقهقه ويصرخ![١].

ويُلاحظ هنا أن الطنطاوي أجاد في إبراز تلك المشاعر والأحاسيس التـي تولّدت في نفسه من خلال هذا الوعـد، كما أوضحت لنا بُعد هذا الوعد، وكثرة عوائقه؛ لتظهر لنا بعد ذلك عظمة تحقيقه، وصدق نبينا ﷺ في الإخبار عنه.

كما بدا وجدان الطنطاوي الإسلامي في إبراز شخصية النبي ﷺ في حسن توكّله، وكمال إيمانه بالله، وحب أبي بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ له وشدّة خوفه عليـه. وكذا في استجابة عمـر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ لرغبة النبـي ﷺ وتصديق نبوءته بإلباس سراقة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ سواري كسرى بعد فتح فارس.

فـي قصة «بنات العرب في إسرائيل» يتضح وجدان الطنطاوي في تجاوبـه مع الإسلام في رسـم شخصياته؛ حيث نـراه نكّر شخصياته؛ لتكـون شخصيـات نموذجية غير مسماة؛ لتفيد الكثـرة والعموم؛ حيث إن الفتاة ليست وحدها التـي تعرضت لذلك، والشاب الفلسطينـي ليس وحده الذي تخلّى عن قضيته وهرب من مسؤوليته خوفا على حياته.

فالفلسطينـي في هذه القصة شاب مثقّف تضطرم نار الشهوة في صـدره، ونـار الحقد على اليهـود في قلبه، لكنه ضعيـف النفس، جبان القلب.

(١) قصص من التاريخ، ص٢٢٤، ٢٢٥.

والفتــاة.. مسلمة، عفيفة، جميلة، أُجبرت علــى الرذيلة والهوا ن، بعدما فقدت أهلها، وهي تتمنّى الخلاص بأي وسيلة، وترغب في الطهر والعفاف.

والأب.. رجل مسلم، غيور، فضّل الموت على الذلّة والعار.

واليهــود.. قساة القلوب، عُدمــوا الإنسانية، وحُرموا الشفقة، حتى تاجــروا بأعراض فتياتنا، وقتلوا نساءنا وأطفالنــا، واتخذوا كل وسيلة توصّلهم إلى أغراضهم الدنيئة.

وفي قصة «طبق الأصل» يُلمح توجّه الطنطاوي الإسلامي، ووجدانه المتّـزن فيهــا من خلال سخريتــه بالتبرج، والمنخدعيــن به، وتقبيحه للحرية غير المنضبطة، ولعواقبها الوخيمة.

فهــو يصوّر في تلــك القصة رجــال الشرطة متكاسليــن، عقولهم قاصرة، وهمومهم متدنّية؛ ليكرّه إلينا هذا السلوك الشائن.

وكــذا فــي تصويره الفتــاة المتبرّجة، ومــا تثيره فــي النفوس من رغبات آثمة، وما تتعرّض له من أحداث قاصمة... يقول عن تلك الفتاة بعدما تعرّضت لمضايقة شاب وقح، فذهبت تشكو إلى الشرطة:

«ووقفــت الفتــاة تصوّب فيهم نظــرات متعالية، ثــم قالت عابسة، زاوية مابين عينيها، ضامة شفتين، كذر الورد على فم لا يتسع للكلمات، ولا يصلح إلا للقبل: أمام باب المخفر شاب وقح، لا يزال يلاحقني كلما مشيت في الطريق، فأرجو سؤاله عما يريد مني!

وعرفوا الذي يريده منها، وكانوا في قرارات نفوسهم يريدون مثله، وكانوا قوماً همجاً متأخرين، ذوي عقول قديمة رجعية، لا يفهمون من تكشّف البنات إلا ذلك المعنى العتيق جداً... لا يعلمون أن الدنيا تقدّمت.

وأن الفتاة تتكشف على الساحل للسياحة، وفي المدرسة للرياضة، وفي الطريق، وفي الترام للصحة وحدها فقط... لا غير»[١].

وكما سخر الطنطاوي بهذه الانحرافات والسلوكيات، رأيناه يسخر بسلوك ذلك الشاب الذي كان يتعقب هذه الفتاة، فيقول:

«وكان مخنّثاً، خليعاً، تحسّ إذا نظرت إليه أن رجولته كورقة النقد المزوّرة، لها لونها ونقشها، ولكن ليس لها قيمتها، ولا تشتري لصاحبها إلا مكاناً في السجن، كما أن رجولة هذا الشاب لا تكسبه إلا موضعا في جهنم...»[٢].

كذلك يبدو هذا الوجدان بمظهره الإسلامي في تقبيح تصرفات وأفكار ذلك الأب الجشع المنخدع بشعارات العصر الزائفة، والأخ العابث وراء شهواته.

كذلك بدت إسلامية وجدان الطنطاوي في إبرازه النهاية المفجعة لهؤلاء المنحرفين، والتي جاءت وفق القانون الإلهي في قوله تعالى: ﴿ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾[٣].

---

(١) قصص من الحياة، ص٧٠.

(٢) السابق، ص٧١.

(٣) سورة النحل، آية ٣٤.

فالطنطـاوي هنا وإن تناول تلك الرؤى الشـاذة لهذه الشخصيات عـن الإسلام، فإنما تناولها ليرينا من خـلال الواقع الحيوي نهاية مثل تلك الرؤى، لا ليبشّر بها، أو يحضّ عليها.

مما يؤكّـد أن الأديب الإسلامي ليس مُلزماً بنهج مباشر، أو غيره، وإنما تميّزه الفني، هـو الذي يتجه به الوجهة المناسبة التي قد يختلف فيها عن غيره مع استقامته في الانطلاق من الوجدان الإسلامي(١).

وفـي (قصص الأطفـال) نـرى الطنطـاوي مستجيبـاً لوجدانه الإسلامـي، في تقبيحه للشّرِّ والباطـل والتخويف من عواقبه، وتمجيده للقيم الإسلامية التي اتسمت بها شخصياته، وسعدت بعواقبها الحسنة وحققت منجزاتها الخيّرة.

لذلـك حرص علـى إبـراز شخصيـة (ابـن هبيـرة) بملامحها الإسلاميـة ومـا تحلّـى به من صبـر، وتواضـع، وأمانـة، وإخلاص في مراحل حياته المختلفة، طالباً وعالماً، غنياً وفقيراً، وإن كانت تتنازعه -لبشريتـه - وساوس الشيطـان، وتتناوشه أهـواء النفس، فهو في النهاية دائماً المسلم الـذي ينتصر للفضيلة، ويستجيب لدينه، وقيمه، وضميره؛ لذلك كان له من اللّه العون، والتوفيق، والرزق الحسن.

كمـا بـدت شخصيـة الأخ الكبير غاية فـي الأمانة والوفـاء، وحفظ العهـد؛ لذلك كان له عنـد اللّه حسن الجزاء، ومن أخيـه الدعاء والحب والذكر الحسن.

(١) انظر في النقد الأدبي الإسلامي، د/ إبراهيم عوضين، ص٢٤٠.

لكـن لـو أتى الكاتب بـكل شخصياتـه على هذا النحـو من الطهر والصفـاء؛ لترددنا في قبولها! فالحياة لا تصفو على حال، ولا تخلو من انحرافات النفوس.

لذلـك رأينا شخصيـة البائع الجشع الذي ينتهـز الفرص ويستغل المحتاج.

والأخ الصغيـر: الـذي كان ضيـق الأفق ضعيـف الإدراك – فظن بأخيـه السوء – قبـل أن يخبر بأمره – ووقع في شرك الشيطان وانقاد لوساوسـه فيما حاكه حـول أخيه من اتهامات وشكـوك رغم أن ما وقع معه كان ينبغي أن ينفي عنه هذه الظنون ويطرد عنه تلك الوساوس!

وفـي قصة «التاجر القائد» نرى شخصية القائد المتغطرس الذي يستعين بسلطانه على الباطل.

وشخصيـة التاجـر المسكين وصديقه الأمين الـذي أخذ بيده إلى من يوصله لحقه ويفرج عنه كربه.

وشخصيـة الخياط.. ذلك المسلم الغيور على أعراض المسلمين، الثائـر على الباطـل، المتحمل في إنـكاره المنكر الضـرب والتعذيب، فكافأه الله لإخلاصه بنفاذ كلمته، وتصديق شهادته، وتلبية رغبته بأمر الحاكم المسلم الذي أبصر غيرته وصدق أمانته.

وشخصيـة الحاكم المسلم الـذي ألجم الظلم ونشر العدل؛ لأنه لا يحابـي في الحق أحدا. حتى إنه قتل أحد قواده لزيغه وانحرافه، وقرّب أحد العامة لاستقامته واعتداله.

فالوجـدان الإسلامي للطنطاوي هو الـذي أسرع بهذه المقابلات؛ ليقـوي الخير في النفوس ويرغب فيـه، ويُكرّه الظلم والغـرور ويحذر منه.

ومـن كل هـذا يتضح لنا وجدان الطنطاوي فـي قصصه، بمظهره الإسلامـي، والذي نجـح من خلاله أن يبرز لنا مشاعـره المحبة للقيم الإسلامية، ويولّد فينا عواطف الميل والرغبة الشديدة في التحلي بهذه القيم والتمسك بها.

واستطـاع أن يستثير فينا بوجدانه الإسلامـي المعبر عنه بصوره وألفاظـه؛ مشاعـر السخـط والبغض، والنفـور والكراهيـة للسلوكيات المنحرفـة والعـادات الشـاذة، والأفـكار الباطلـة التي عرض لها في قصصه.

واتضح من خلال هذه القصص توظيف الوجدان بمظهره الإسلامي فـي الكشف عن خفايا النفوس ومشاعرها تجاه ما تواجهه من أحداث؛ ليتسنـى للكاتب بذلك تهيئة النفوس إلى التوجـه نحو ما يريد الكشف عنـه، والإحساس بـه في جلاء ووضوح، ولعل هذا هو غاية ما يطلب من الوجدان الإسلامي في تفاعله مع الحياة من خلال الأدب.

obeikandi.com

المبحث الثالث

وجدان الطنطاوي في تراجمه

(أ) تراجم الطنطاوي الشخصية الذاتية:

يظهر ملامح الوجدان الإسلامي في ترجمة الطنطاوي الشخصية لنفسه من خلال مقصده منها وتناوله لها.

حيث كان ينشد بذكرياته ارتقاء الفكر ومعرفة سبل السعادة للفرد والمجتمع فتناولها برؤية إسلامية، عرضت الفضائل وأشادت بها، وقبحت الرذائل وبينت خطرها؛ ليحقق من ورائها رؤية إسلامية تستضيء بها أمته في سيرها الطويل[1].

لذلك نراه في ذكرياته يعرض أحاسيسه ويظهر عواطفه نحو قضايا الحياة، وما استفاده منها بصدق وصراحة. من ذلك قوله في تلخيص تجربة عمره وما استفاده منها:

«فما الذي استفدته من عمري؟! طلبت المجد الأدبي وسعيت له سعيه، وأذهبت في المطالعة حدة بصري، وملأت بها ساعات عمري،

(١) بين النقد والأدب، د/ محمد رجب البيومي، ص٣٠٢، الطبعة الأولى ١٩٩٧، المطبعة الفنية.

obeikandi.com

وصرمت الليالي الطوال أقرأ وأطالع.. حتى لقد قرأت وأنا طالب كتباً، من أدباء اليوم من لم يفتحها مرة واحدة؛ لينظر فيها.

وكنت أرجو أن أكون خطيباً يهز المنابر، وكاتباً يمشي بآثاره البريد، وكنت أحسب ذلك غاية المنى وأقصى المطالب، فلمّا نلته أو نلت بعضه زهدت فيه وذهبت مني حلاوته، ولم أعد أجد فيه ما يشتهى ويتمنى!.

وما المجد الأدبي!؟ أهو أن يذكرك الناس في كل مكان، وأن يتسابقوا إلى قراءة ما تكتب وسماع ما تذيع، وأن تتوارد عليك كتب الإعجاب، وتقام لك حفلات التكريم؟ لقد رأيت ذلك كله! فهل تحبون أن أقول لكم ماذا رأيت فيه!؟

سراب قبض الريح! أغلق يدك على الريح ثم افتحها لا تلق فيها شيئاً!.

لا.. والله ما أقول هذا كلام أديب يتخيل! ولكن - وأحلف لكم لتصدقوا- ما أقول إلا الحقيقة التي أشعر بها. أنا من خمسين سنة أعلو هذه المنابر، وأحتل صدور المجلات والصحف، وأنا أكلم الناس في الإذاعة، ويسمعونني ويرونني في الرائي من يوم جاءنا الرائي. ولطالما خطبت في الشام ومصر والعراق والحجاز والهند وإندونيسيا وكثير من بلاد أوربا خطباً زلزلت القلوب، ومحاضرات شغلت الناس، وكتبت مقالات كانت أحاديث مجالسهم، ولطالما مرت أيام كان اسمي فيها على كل لسان في بلدي، وفي كل بلد عشت فيه أو وصلت إليه مقالاتي!.

وسمعت تصفيق الإعجاب، وتلقيت خطب الثناء في حفلات التكريم، وقرأت في الكلام عني، ولي، وعلي مقالات ورسائل. ودرّس أدبي ناقدون كبار، ودرّس ما كتبت، وما قالوا عني في المدارس. وترجم كثير منه إلى أوسع لغتين انتشاراً في الدنيا الإنكليزية والأردية، وإلى الفارسية والفرنسية! إي والله! فما الذي بقي في يدي من ذلك كله!؟ لا شيء، صدقوني إن قلت لكم: لا شيء! وإني إن لم يكتب لي بعض الثواب من اللّه على بعض هذا أخرج صفر اليدين.

إنني أقف في مطلع العام لأحاسب الحياة على ما أعطتني، وعلى ما أخذت مني، فأجد أنها أخذت مني عمري الذي هو رأسمالي! فإن لم أخرج من هذا العمر بعمل صالح، ومغفرة من اللّه أكن قد خسرت كل شيء.

إن كل ما في الدنيا يذهب إن ذهبت، لا يبقى لي إلا ما قدمت لآخرتي.

﴿وَٱلۡعَصۡرِ ١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ﴾[1].

فالطنطاوي يعرض علينا تجربته في الحياة وقد انكشفت له حقيقتها وزيفها وخداعها؛ ليعلمنا أنه لا نفع فيها إلا بما كان للّه، ولن يبقى للمرء منها إلا ما قدم لآخرته، وأن السعادة الحقيقية في الإيمان والعمل الصالح.

(١) سورة العصر، (١-٣).

وهــذه الرؤيــة التــي آمن بهــا وأدركها مــن أعماقــه واستقرت في وجدانــه أعطاها أبعــادا جديدة أكدهــا، وقواها من خــلال استشهاده بسورة العصر التي تشير إلى هذا المعنى وتوضح أبعاده.

وهــي أيضا لمحة مــن خواطره الكثيرة في ذكرياتــه التي بدا فيها وجدانه المنفعل بالإسلام وإيمانه الصادق بما يقول عن واقعه وتجاربه، حتــى لا يستطيــع القــارئ إلا أن يستشعر هذه الحقائــق التي تكمن في أعماقه الفطريــة، ولتتضاءل بذلك أمامه متع الحيــاة ويتوجه لعمل ما ينفعه في الآخرة.

فالوجدان في ذكريات الطنطاوي عنصر مهم وفاعل ولّد من خلاله في نفوسنا الإحساس العميــق بالمعاني الإسلامية السامية، ودلها على سبيــل سعادتها من خلال واقع حي لتجاربــه الثرية وخواطره الصادقة حول ما عرض له في حياته.

كما استخدمه كوسيلة قوية للتنفير من سلوكيات خاطئة، وأمراض اجتماعيــة، وفكرية، وعقديــة، مستوطنــة تحتاج إلــى استئصالها من الجذور.

(ب) تراجم الطنطاوي الذاتية الغيرية:

تبــدو مظاهــر إسلامية وجــدان الطنطــاوي في تراجمــه الذاتية الكلية، من خلال شعورنا بحبه للصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ وتعظيمه لقدرهم في تناول يملؤه الإعجاب والتقدير.

يقول في مقدمه كتابه عن أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

«ولقد قلت في مقدمة (أخبار عمر): إني قرأت سير آلاف العظماء من المسلمين، وغير المسلمين، فوجدت فيهم من هو عظيم بفكره، ومن هو عظيم ببيانه، ومن هو عظيم بخلقه، ومن هو عظيم بآثاره، ووجدت عمر قد جمع العظمة من أطرافها، فهو عظيم الفكر والأثر والخلق والبيان.

وأقول اليوم: إن أبا بكر كان أعظم من عمر في كل شيء. حتى في القوة التي كانت شعار عمر، وكانت عنوان شخصيته، فإن أبا بكر الضعيف الجسد، الرقيق العود، لما بارى عمر في القوة كان هو الأقوى.

إنّ عمر عظيم لكن لا يعدل أبا بكر!.

إن أبا بكر هو أعظم العظماء بعد الأنبياء. لقد أقر عمر بذلك بلسانه على منبر رسول الله ﷺ وتاريخه كله إقرارات بذلك، ولا يعرف الفضل إلا ذووه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وحسبكم أن أبا بكر كان أسبق الرجال إلى الإسلام، وأنه كان أحبهم إلى رسول الله، كما خبّر بذلك ﷺ.

الفريق المتماسك في الرياضة الجماعية يعمل معاً الواحد للكل، والكل للواحد، تجد فيه نخبة من الأبطال لا تستطيع أن تحكم أيهم أقوى، إلا إن تنازل في مباراة ودية اثنان منهم.

obeikandi.com

كذلك كان الصحابة الكرام رضي الله عنهم وأرضاهم ـ وكان الخلفاء الراشدون والعشرة المبشرون خيار الصحابة، وكان الشيخان أبو بكر وعمر.. كما كانت خديجة وعلي خيار الخيار وأبطال الفريق.

ولقد تواجه أبو بكر وعمر لا مواجهة المتباريين، فما كانا يختلفان، ولا في المزاح، بل مواجهة المتنافسين على درجة الامتياز، في السباق إلى رضا الله، تواجها يوم قبض رسول الله ﷺ ويوم السقيفة، ويوم بعث جيش أسامة، ويوم الردة، وكلها نوازل نزلت بالمسلمين، وفي النوازل الثقال توزن أقدار الرجال! فكان أبو بكر رضي الله عنه وعن عمر – أثبت في الشدائد، وأشجع في اقتحام الأهوال، وأكثر علماً بالله، وكان هو الأرجح في الميزان...»[١].

فهذا الشعور الراضي الذي دفع الطنطاوي لإبراز عظمة الصحابة –رضوان الله عليهم – والإعجاب بهم، هو انعكاس لوجدان الطنطاوي الإسلامي الذي صبغ صيغه التعبيرية بهذه المعاني الروحية التي منحت الألفاظ الحياة وأثارت فيها النبض والحركة[٢].

وهذا مظهر من مظاهر إسلامية وجدان الطنطاوي في تناول تراجمه الغيرية، والدال على امتلاء نفسه بعظمة هؤلاء الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ وإفاضته من هذا الإحساس علينا.

---

(١) أبو بكر الصديق، علي الطنطاوي، ص٩ –١٠.

(٢) في النقد الأدبي الإسلامي، د/ إبراهيم عوضين، ص٢١٤.

ويبدو وجدان الطنطاوي المنفعل بالإسلام في تراجمه من خلال استلهاماته من المعاني القرآنية وتاريخ المسلمين ما يستضيء به في عرض آرائه وطرح قضاياه.

من ذلك ما ذكره تحت عنوان «عمر مع غير المسلمين» يقول:

«اليهود: اختلف المؤرخون في يهود المدينة هل هم عرب تهودوا، أم هم يهود تعربوا! والذي يغلب على ظني أنهم يهود؛ لأن اللّه عز وجل كان يدعوهم (يابني إسرائيل) وإسرائيل هو يعقوب عليه السلام وأولاده اليهود؛ ولأن المتتبع لما وصف القرآن من أخلاقهم، والناظر في تاريخهم، يرى الاختلاف البين بين أخلاقهم وأخلاق العرب، وأدل الدلائل على هذا الاختلاف أن العرب في مكة لما حاربوا الإسلام حاربوه من أمام، فعل الرجل الشريف، وهؤلاء حاربوه بالدس والمكر، فعل المحتال المخادع الضعيف، وهم علّموا العرب النفاق، وما كان من قريش منافقون، إنما نجم النفاق في المدينة بعد الهجرة من تأثير اليهود.

وكان تاريخهم مع المسلمين تاريخ الغدر والخيانة والعدوان منهم، والصفح والصدق والإنصاف من المسلمين، واستمر ذلك حتى أنقذ اللّه المدينة منهم واجتمعت بقيتهم في خيبر»[١].

فالطنطاوي كما رأينا يستلهم رأيه من معطيات القرآن الكريم، والواقع التاريخي للمسلمين مع غيرهم، مما يقوي حجته، ويرجح رأيه، ويعكس انفعال وجدانه بالقرآن الكريم والتاريخ الإسلامي المجيد.

(١) أخبار عمر وأخبار عبد الله بن عمر، للطنطاويين، ص١٦٣.

ويلاحظ إسلامية وجدان الطنطاوي في تراجمه من خلال تفسيره لما يصدر من شخصياته، تفسيراً روحيا، يرفع فيه القيم، ويمجد البطولة، وينفي فيه ما توهمه ظاهر الأخبار من نقص أو انحراف يتعارض مع معطيات الشخصية التاريخية ومكانتها في النفوس.

من ذلك فهم الطنطاوي لدلالة هذا الحدث، وتعليقه عليه، بما يتوافق مع طبيعة الشخصية العمرية. يقول:

«وقال أسلم: مرّ بي عمر أنا وعاصم بن عمر نتغنى غناء النصب، فقال: أعيدا فأعدنا، فقال: مثلكما مثل حماري العباديّ، قال: أي حماريك أشر؟ قال: هذا ثم هذا!».

يقول هذا ممازحاً»[(١)].

فالطنطاوي عقب على قول عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بقوله: «يقول هذا ممازحاً» ليصرف بذلك الوهم الذي قد يؤدي إليه ظاهر الخبر من أن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سبّ أسلم وعاصما وأهانهما دون داع، وهذا يتنافى مع ما أثر عن شخصية عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فلابد أن يخرج ذلك منه على سبيل المزاح.

وأوضح من هذا تناول الطنطاوي لدلالة هذا الحدث الذي حرص فيه على إبراز الصورة المثلى للصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ حفاظاً على تعظيم القدوة، وتمجيد الرموز التي لو اهتزت صورتها في الأذهان؛ لزلزلت ضعاف النفوس، وأوجدت لهم مدخلاً للتساهل والانحراف.

---

(١) السابق، ص٢٩٩.

يقول الطنطاوي تحت عنوان «يقيم الحد على ولده»:

«عن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال يوماً وقد ذكر عمر فترحم عليه – ما رأيت أحداً بعد نبي الله ﷺ - وأبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أخوف من عمر! لا يبالي على من وقع الحق؛ على ولد أو والد.

ثم قال: والله إني لفي منزلي في مصر إذ أتاني آتٍ فقال: هذا عبد الرحمن بن عمر وأبو سروعة[1] يستأذنان عليك. فقلت: يدخلان. فدخلا وهما منكسران فقالا: أقم علينا حد الله، فإنا قد أصبنا البارحة شراباً فسكرنا، فزجرتهما وطردتهما.

فقال عبدالرحمن: إن لم تفعله أخبرت أبي إذا قدمت عليه. فعلمت أني إن لم أُقم عليهما الحد غضب علي عمر وعزلني، فأخرجتهما إلى صحن الدار فضربتهما الحد. ودخل عبد الرحمن بن عمر إلى ناحية في الدار فحلق رأسه، وكانوا يحلقون مع الحدود! والله ما كتبت لعمر بحرف مما كان حتى جاءني كتابه فإذا فيه:

«بسم الله الرحمن الرحيم. من عبد الله عمر إلى العاصي بن العاصي.

عجبت لك يا ابن العاص، وجرأتك علي، وخلافك عهدي فما أراني إلا عازلك، تضرب عبد الرحمن في بيتك وتحلق رأسه في بيتك، وقد

---

(١) أبو سروعة هو: عقبة بن الحارث، أسلم وروى عن الرسول ﷺ وأخرج له البخاري ثلاثة أحاديث (الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر العسقلاني. تحقيق علي محمد البجاوي ٤/٥١٩، ط١، دار الجيل. بيروت ١٤١٢هـ، ١٩٩٢م. أخبار عمر وأخبار عبد الله بن عمر، للطنطاويين، ص١٦٣.

عرفت أن هذا يخالفني، إنما عبد الرحمن رجل من رعيتك تصنع به ما تصنع بغيره من المسلمين، ولكن قلت: هو ولد أمير المؤمنين! وقد عرفت أنه لاهوادة لأحد من الناس عندي في حق يجب عليه، فإذا جاءك كتابي هذا، فابعث به في عباءة على قتب حتى يعرف سوء ما صنع!.

فبعثت به كما قال أبوه، وكتبت إلى عمر كتاباً أعتذر فيه أني ضربته في صحن داري. وبالله الذي لا يحلف بأعظم منه إني لأقيم الحدود في صحن داري على الذمي والمسلم.

وبعثت بالكتاب مع عبد الله بن عمر، فقدم بعبد الرحمن على أبيه، فدخل وعليه عباءة، ولا يستطيع المشي من سوء مركبه.

فقال: يا عبد الرحمن فعلت وفعلت!؟ فكلمه عبد الرحمن بن عوف.

وقال: يا أمير المؤمنين قد أقيم عليه الحد فلم يلتفت إليه، فجعل عبد الرحمن يصيح: إني مريض، وأنت قاتلي! فضربه ثانية وحبسه. فمرض ثم مات ـ رحمه الله»[١].

وبعد أن نقل الطنطاوي هذا الخبر نراه علق عليه في الهامش بما ينبغي أن نفهمه لا ما قد يوهمه ظاهر الخبر، وبما يثبت ما يليق بمقام الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ أجمعين. فيقول:

---

(١) أخبار عمر وأخبار عبد الله بن عمر، للطنطاويين، ص٣٠٠ -٣٠١، والخبر في تاريخ بغداد لأحمد بن علي أبو بكر الخطيب البغدادي ٥/ ٤٥٥، ط دار الكتب العلمية، بيروت.

obeikandi.com

«لمـا ضربه وأرسله لبث شهراً صحيحاً ثـم أصابه قدره، فيحسب عامة الناس أنه مات من جلد عمر ولم يمت من جلده، ثم إنه لا ينبغي أن يظـن بعبد الرحمن بن عمر أنه شرب الخمر، وإنما شرب النبيذ متأولاً يظـن أن الشـرب منه لا يسكـر. وكذلك أبو سروعة وهو مـن أهل بدر، فلما خرج بهما الأمر إلى السكر طلبا التطهير بالحد، وقد كان يكفيهما مجـرد الندم على التفريط، غير أنهما غضبـا لله سبحانه وتعالى على أنفسهما المفرطة فأسلماها إلى إقامة الحد! وأما كون عمر ضربه مرةً ثانية، فليس ذلك حداً، وإنما ضربه غضباً وتأديباً، وإلا فالحد لا يكرر. وقد أخذ هـذا الحديث قوم من القصاص فأبـدؤوا فيه وأعادوا، فتارة يجعلونـه مضروباً على شرب الخمر، وتـارة على الزنا، ويذكرون كلاماً مرققاً يبكي العوام لا يجوز أن يصدر عن مثل عمر رضي الله عنه»[١].

والطنطاوي صادق مع نفسه، مستجيب لوجدانه الإسلامي في دفع كل شبهة تنشأ عن فهم خاطئ، أو نفس مغرضة.

من ذلك رؤيته الكاشفة لحقيقة عزل عمر لخالد رضي الله عنهما، والتي تأولها المغرضون بتفسيرات أبانت عن جهلهم بعظمة أولئك الرجال.

يقول الطنطاوي عن عمر رضي الله عنه:

«... ثـم التفـت إلـى الشـام فعالج شؤونهـا، ورتـب أمورها، وولى أباعبيـدة قيادة جيوشها، ونحَّى خالداً. لقـد كان خالد نابغة الحروب،

(١) أخبار عمر وأخبار عبدالله بن عمر، ص٣٠١.

وأحـد القواد الذين أدهشوا التاريخ، والذين هم فلتة من فلتات الزمان لا يظهـر الواحد منهـم إلا في القـرون الطويلة، الإسكنـدر، وهنيبعل، وخالـد، وابـن القاسـم، وقتيبة، وطـارق، ونابليون! بل ربمـا كان خالد أعظمهـم جميعاً، بل ليس في ذلك شك لمن درس خالداً وعرفه، وقليل هم الذين عرفوا خالدا.

فلماذا يعزله عمر؟

هـذا ما خاضـت فيه ألسنـة تنطق بغيـر المنطق، وتهـرف بما لا تعرف، وتحركت فيه أقلام تتبع الهوى وتخبط في ظلمات الجهل...

لا، لم يعزله عن موجدة، ولا خيانة، ولا بغض، ولا انتقام! ولقد كان عمـر يحب خالداً ويكرمه، وكان عارفاً بمنزلته، وعالما بمقدرته، وإنما ضحى به في سبيل الإسلام»[١].

وهـذا تفسير أحـس بغرابته، ولكنـه حين كشف مـا وراءه بالأدلة الواضحة أزال هذه الغرابة، و أقنعنا بأنه الحق والصواب، حيث قال:

«ولقـد يبدو هـذا القول غريبـاً ولكنه الصـواب! إن الإسلام يقوم على مبـدأ التوحيد، على اعتقاد أن الله هو النافع الضار، وأن كل شيء بيده، وأنه لا يعطي غيره، ولا يمنع سواه، فخاف أن يتكل المسلمون على خالـد، أو يعتقدوا أنهم ينصـرون به، فيفتنوا ويضلوا، وإذا غاب عنهم غلبوا وذلوا، فعزله!.

(١) قصة حياة عمر، علي الطنطاوي، ص٢٧.

ولقد صرح عمر نفسه بهذا في مرسوم بعث به إلى الأمصار حين قال: «إني لم أعزل خالداً عن سخطة ولا عن خيانة، ولكن فتنوا به! فخشيت أن يوكلوا إليه ويبتلوا به، فأحببت أن يعلموا أن الله هو الصانع، وأن لا يكونوا بعرض فتنة».

ومن استعظم عزل خالد، وعده كسراً لخاطره، وجحوداً لفضله وعقوقاً، ورآه شر جزاء له على أعماله، فإنما رأى ذلك لجهله بأخلاق المسلمين الأولين، وظنه أن خالداً كان يقاتل من أجل الإمارة، فإذا تركته الإمارة ترك القتال؛ أو أنه يقاتل من أجل الخليفة، رغبة بوسام يناله، ورتبة يحظى بها، فإذا عزله الخليفة انصرف عن الحرب، أو ثار وعارض، كما قد فعل القواد من غير المسلمين، لم يدر أن خالداً كان يقاتل لله، ورغبة في ثوابه، فكان سواء لديه أكان جندياً صغيراً، أو قائداً عاماً، ولم يبلغ هذا الناقد قول خالد حين وصل إليه العزل: والله لو ولّى علي عمر امرأة لسمعت وأطعت!!

الله أكبر! ما هذه النفوس؟

أما إنه لا عجب إذا لم نفهمها، ولم ندرك كنهها!.

فلقد كانت تحلق في سماء لا تبلغها نفوسنا و لا بالخيال، ولا غرو إن لم نستطع أن نفهم كيف آثر عمر المصلحة العامة فعزل خالداً وهو يقسم أنه يحبه، وهو صادق في قسمه. وكيف رضي خالد بالعزل وقاتل جندياً كما كان يقاتل قائداً، ولا غرابة إن لم يفهم مؤرخو الغرب

والمستشرقون سر هذه المسألة، فإنها مسألة رجال هم من طراز لا يعيش في أوروبا!»[١].

وهكذا يتضح وجدان الطنطاوي الإسلامي وأثره في تناول أحداث التاريخ وتفسيرها تفسيرا روحياً قوياً يستمد قوته من معطيات مادية حقيقية، تتفق والوجهة الإسلامية التي التزمها منهجاً وفكراً وأسلوباً.

كما يتضح وجدان الطنطاوي المنفعل بالإسلام من خلال إعجابه بالسلوك الإسلامي المتزن، وإشادته بالخلق الإسلامي الملتزم.

يقول في ترجمته لعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه: «وآخى الرسول صلى الله عليه وسلم بين كل اثنين، فكان أخا عبد الرحمن بن عوف (المهاجر) سعد بن الربيع (الأنصاري) فلم يكف سعدا أن أنزله في بيته وأكرمه بضيافته وأراه من بره حتى قال له:

إني أكثر الأنصار مالاً، ولقد قسمت مالي نصفين فخذ أفضلهما يكن خالصاً لك، وإن لي زوجتين فاختر منهما خيرهما عندك أطلقها وتتزوجها أنت بعدما تنقضي عدتها!.

أرأيتم مثل هذا الإيثار أو سمعتم به؟ هل رأيتم في المجتمعات الخيالية التي تصورها الأدباء والفلاسفة، مثل هذا المجتمع الحقيقي!؟

(١) قصة حياة عمر، ص٢٨ - ٢٩.

فقال له عبد الرحمن:

بارك الله عليك في مالك، وفي أهلك، لا أريد منك شيئاً ولكن دلني على السوق!.

إنه يريد أن يعيش بكده، ويغنى بعمله، ولا يكون كلاً على أحد.

وكذلك يكون المسلم الحق»[١].

فوجدان الطنطاوي المتزن بالإسلام يثير إعجابنا بإيثار سعد بن الربيع رضي الله عنه وكرم نفسه، وسخائه، كما يشيد بعفة عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه وسعيه، واجتهاده؛ ليبين لنا أن تلك هي صفات المسلم الحق، أي الذي اكتمل إسلامه قولاً وعملاً واعتقاداً.

ومن ثم يتبين دور الوجدان الإسلامي في تناول التاريخ، للسعي به نحو تصحيح المفاهيم وتقويم السلوك وبناء القيم والأخلاق.

ويلاحظ أن تراجم الطنطاوي، كانت ترجمة عن وجدانه، وتلبية لإحساسه بعظمة الإسلام وقيمه التي يهفو من خلالها إلى الاقتداء بمن تمثلت فيهم هذه القيم من الصحابة والأعلام.

كما كانت تعبيراً وتنفيساً عن ضيقه وتبرمه بمعاناة الأمة وترديها في مستنقع التخلف والضعف الاجتماعي والخلقي والفكري والعملي وتجرعها لغصصه، بضياع الحقوق، وفقدان الحرية، واستبداد

---

(١) عبدالرحمن بن عوف، علي الطنطاوي، ص١٣.

obeikandi.com

الحكام، واستغلال الطامعين، وتخريب (المستعمرين) المخربين... مع ما لها من دين عميق، وتاريخ عريق يعانيان الإقصاء والإهمال.

فكانت هذه التراجم رسائل موجهة ومعبرة عما يتمناه في نفسه من إيقاظ الأمة وتوعيتها، وإحياء دينها وقيمها، واستعادة عزها ومجدها على أسس حضارية إسلامية كتلك التي كانت لأسلاف المسلمين الأوائل.

opeikandl.com

المبحث الرابع

وجدان الطنطاوي في مقالاته

مقالات الطنطاوي:

من يتأمل مقالات الطنطاوي يلاحظ أنه إسلامي في وجدانه، منضبط في رؤيته، لا يغفل عن واقع الإنسان، ولا يزيّف في علاقته بنفسه أو علاقته بأخيه الإنسان، أو بخالقه وكونه، ولا في علاقته بالمرأة والطبيعة والحياة... ولعل فيما مر من نماذج دليل على اتزان وجدان الطنطاوي وسلامة عواطفه.

ومن مظاهر هذا الوجدان الصادق المنفعل بالإسلام ما نراه في مقالاته التي واجه بها (الاحتلال)، وما تحمله من ألفاظٍ ومعانٍ مترعة بالسخط والكراهية والوعيد والتهديد.

يقول الطنطاوي من مقالته «يا أمة الحرية» التي نشرت سنة ١٩٣١م:

«وأنا لا أجمجم الكلام، ولا أديره على وجوهه التي ترضون عنها. فقد يئست حتى ما في نفسي مكان لأمل، ولا متسع لخوف. واليائس لا يخيفه شيء. وإن نحن عجزنا أن نعيش أحراراً فلن يعجزنا أن نموت أحراراً، وما بعد الذي كان يوم الأحد، أمل ولا خوف.

لقد قضي علينا أن نهبط من عليائنا، وأن نسلب حريتنا، ونفقد استقلالنا، ولكن لم يأت بعد ولن يأتي أبداً اليوم الذي نخسر فيه إيماننا وكريم خلالنا...»[١].

فهذا وجدان صادق منبعث عن دوافع ذاتية، حرّكه تسلط المحتل ومفاسده، فانطلق يعبر عن هذا الوجدان بألفاظ ساخطة، ونفس ثائرة تتخذ من الإيمان سلاحاً لها، ومن تعاليمه رائداً لمسيرها في القضاء على عدوها.

وهكذا يسير الطنطاوي في مقاله على هذا النحو بعبارات قوية، ومشاعر جياشة، تثير الهمم، وتحرك العواطف، وتصب العزم والتضحية في الأبدان، وتملأ النفوس قوة وصلابة؛ لأنها كلمات صادقة استمدت قوتها من صدق صاحبها، وإيمانه بها، وخروجها من قلبه الملتاع بجراح (المحتلين)، وجرمهم. يقول:

«لقد قاسينا منكم الظلم، وعايشنا الفقر، وشاهدنا الخراب، وأصبحت مدينتنا أطلالاً، وأهلها مشردين، ونساؤها ثاكلات، فماذا نخاف بعد هذا!؟

عندكم أشد من الرصاص؟ فقد فتحنا له صدورنا! والقنابل؟ قد أعددنا لها دورنا! هل عندنا أغلى من الأرواح؟ لقد بذلناها ثمناً للاستقلال»[٢].

(١) ذكريات علي الطنطاوي، ج٣، ص٥.

(٢) السابق، ج٣، ص٦.

obeikandl.com

ثـم تزفـر نفس الطنطـاوي -وقد هالها ما حـدث- بكلمات تخرج وكأنها طلقـات نارية تزلزل بنيـان (المحتل) وتهـدم أحلامه الباطلة فـي توعد وتهديد، كلمـات خرجت في صياغة محكمـة، وكأنها تجارب إنسانية، وقوانين كونية تقنع العقل، ولا تقبل النقد أو الشك. يقول:

ثمن المجد دم جـدنا بـه فانظروا كيف دفعنا الثمنا

كيـف سقينـا بدمنـا وادي ميسلـون، وجنـان الغوطـة، وبطـاح حمـاة، وحمص وأرجاء حلب. والأرض التي تسقى بالـدم لا تنبت إلا الاستقلال.

فاملـؤوا المرجة دبابـات، واقتلوا منـا المئات، واكذبـوا فانشروا ماشئتم من بلاغات، فكل ما هو آت آت.

إن الهـرة إذا حبسـت وضويقـت انقلبت لبؤة، والبـركان إن سدت فوهته كان الانفجار، والشعب إذا استذل ثار، والنار ولا العار، وللشهداء عقبى الدار»[١].

وكمـا رأينا لـم يكن الطنطـاوي سلبياً ولا مخادعـاً لأمته، بل كان إيجابيـاً يقظـاً، فغـزا القلوب بكلماتـه الصادقة، فكانـت دفقات عزم صبّها في وجدان الأمة، ودفعات عزم وأمل في طريقها الطويل ضد هذا (المحتل) الغاشم الذي هال الأمة بقوته وسلاحه وتنظيمه ومخترعاته، فأفقدها التوازن وثقة النفس.

---

(١) السابق، ج٣، ص٦.

ومـن هنا حاول الطنطاوي بهذه الكلمات قتل اليأس، وإعادة الثقة بالنفس عن طريق الإيمان وبعث قوته في القلوب.

ومـن مظاهر قوة عاطفة الطنطاوي الدينيـة غيرته الشديدة على الإسـلام، حتـى إذا رأى من يغمز الدين، أومن يخـرج على منهجه ثار غضبـه، واشتعلت غيرته، وصبّ على هؤلاء مقـالات من النقد اللاذع، الـذي يدفع الشبه، ويزيـل الأباطيل، ويخرس الأقـلام بالشدة والعنف حيناً، وبالسخرية والتندر أحياناً.

من ذلك مقالته التي رد فيها على الأستاذ - أمين الخولي لتضامنه مع الباحث/ محمد أحمد خلف الله الذي تقدم برسالة عن القصص في القرآن الكريم، والتي كانت تحت إشرافه مع ما حملته من خلط وادعاء مـن أن القصص القرآني مستمد من مصادر أخرى غير عربية... وأن فيه أساطير لا أساس لها...!![١].

قـال الطنطاوي: «... مقالنا اليوم تذكير لهذا الشيخ بأنه ليس من أصحـاب العقول الكبيرة، والبحث العلمي، ليزعم أنه يكفر إذا كفر عن بينـة، ومـا له إلا أنـه رأى أديباً زل من عشرين سنـة وأي أديب لا يزل؟ فقال كلاماً مثل هذا الكلام، فملأ اسمه الدنيا وشغل الناس، فأحب أن يكون مثله، وشتان مابين الرجلين!.

---

(١) السابق، ج٦، ص١٨٢.

وإلا فهل ثبت له بعد البحث والتحقيق أن قصص القرآن مأخوذ من التوراة، ومن الأدب الفارسي، واليوناني؟ وأن فيه أساطير لا أساس لها؟ وهل وقعت له النسخة المخطوطة بخط مؤلف القرآن - الذي هو اللّه- إذا كان فضيلة الشيخ لا يزال يعتقد أن القرآن من عند اللّه، فعض عليها بالنواجذ؛ ليفضح المؤلف ويكشف عن سرقاته ويشفي غيظه منه!؟ أستغفر اللّه كثيراً، وتعالى عما يقوله الكافرون علواً كبيراً!.

ولندع الكلام في الدين مادمت يا مولانا الشيخ تحسب أن الخروج عليه مدنية وتقدم، وأن الأخذ به رجعية وتأخر، وأنك أعلنت الكفر، وجهرت به، واخترته والعياذ باللّه لنفسك، ولنأخذ هذا العلم، والمنطق والتاريخ!..

فهل في العلم والتاريخ شيء يؤيد ما جاء في الخبر أن الأطروحة اشتملت عليه؟ وأعلنت أنك مع المؤلف في كل حرف منه؟ وبأي دليل من أدلة العلم، وفي أي كتاب من كتب التاريخ ثبت لك ولصاحب الأطروحة أن اللّه قد قبس قرآنه من أدب فارس ويونان، ومن هذه الأساطير!؟ أستغفر اللّه، وتعالى عما يقول الكافرون علواً كبيراً!.

وإذا لم يكن القرآن كتاب اللّه، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، لا من جهة فارس، ولا من جهة يونان، وكان من تصنيف محمد، وكان قد اقتبسه من آداب الأمم ومن أساطيرها، فكيف خفي ذلك على أسلافك من أنصار حرية الفكر، أعني حرية الكفر! من اليهود والنصارى والمجوس والزنادقة!؟ وكل عدو للإسلام خصم

للقـرآن، فلم يؤلف فيه أحد، ولم يثبته، حتى جـاء تلميذك هذا فكتبه؛ لتكافئـه الدولة على كفره بدينهـا الرسمي، وطعنـه بقرآنها، بإعطائه شهادة الدكتوراه...»[١].

وهكـذا نرى أن الكاتب عند مـا يبلغ الإيمان بفكرتـه إلى الأعماق تبدو في كلامه وكأنها جزء منه، فتحصل لديه بذلك قوة جديدة تجعله يتدفـق كالسيل، فتواتيـه المعاني سهلة دون كد أو عناء، وتتسلسل لديه الأفـكار من غيـر تناقض أو اختـلاط، وتكسبه صدقاً معبـراً، وانفعالاً مؤثراً[٢].

فهـذه العبـارات التـي أفصحت بوضـوح عن وجـدان الطنطاوي المنفعـل بالإسلام، الغيور على قرآنه، الثائر على الخارجين عليه بقوة تزلـزل أركانهم، وتردهم عـن غيهم. وقد آتت هـذه المقالة جدواها؛ لأن الباحـث المتعجل ـ بعد هذه المعركة ـ حيـن طبع الرسالة في كتاب مستقـل حذف كثيراً ممـا كان موضع الاعتراض، وعمـل على ظهورها فـي وضع أقـل اعتسافـاً! وأقول: أقـل اعتسافاً؛ لأنها حملـت كثيراً من الأخطـاء التي قام بتصحيحها نفر من الفضلاء على صفحات الرسالة وغيرها...[٣].

(١) مجلة الرسالة، ص١٠٣٤، عدد ٧٤٢، ٧ ذي القعدة ١٣٦٦هـ، ٢٢ سبتمبر ١٩٤٧م، السنة ١٥، جـ٢.

(٢) مقدمة في النقد الأدبي، د/ على جواد الطاهر، ص١٤٥.

(٣) الأدب الإسلامـي «الطنطاوي في صحافة مصر» د/محمد رجب البيومي، ص١٦ العددان (٣٤، ٣٥).

obeikandl.com

وليست ثورة العاطفة هي الدليل على صدقها فحسب، بل قد نرى العاطفة هادئة وصادقة ومع ذلك مؤثرة؛ لصدورها عن إيمان صادق، ووجدان حي يناسب الغرض. يقول الطنطاوي:

«يا أهل مصر! اثبتوا على جهادكم فإنا جميعاً معكم، قضيتكم قضيتنا، وعدوكم عدونا، ما ضرنا أن تفرّق بيننا الحدود على الأرض، والألوان على المصور مادام يجمعنا القرآن، وتوحد بيننا الضاد، وتربطنا الآلام والآمال، وذكر الماضي وأماني المستقبل...»[١].

فهذه العبارات تعكس وجدان الطنطاوي الصادق الذي تخير للتعبير عنه هذه النبرة الهادئة، والكلمات الليّنة التي تناسب إعلان تضامنه وتضامن شعبه مع أهل مصر، ومشاركتهم الشعور والآلام، إيماناً منه بأخوة الدين ووحدة جميع المسلمين.

ويتضح وجدان الطنطاوي الإسلامي في حرصه داعية، وصاحب رسالة، على إقامة علاقة وثيقة بينه وبين جماهيره تضمن له ثقتهم فيه، واقتناعهم به، وقربه منهم، ومن هنا خلا أسلوبه من التجافي والاستعلاء والتجهم، بل يلاحظ في مقالاته أنه يبوح لمتلقيه عن مكنون نفسه؛ ليقبلوا عليه ويأنسوا به؛ لأن الإنسان يحذر من يجهله ويألف من يعرفه.

فالبوح إذن سلاح عظيم لفتح القلوب وتهيئة النفوس إذا أحسن استخدامه، وقد أجاد الطنطاوي توظيفه، فكان ببوحه عن آماله،

---

(١) هتاف المجد «إلى الشعب المصري». لعلي الطنطاوي. ص٨٢.

وأحلامه، ووصفه لآلامه وأحزانه يقربنا إليه، ويزيد محبتنا فيه، وبذلك استطاع أن ينفذ إلى شغاف القلوب ويسلس قياد النفوس.

وكان من مظاهر هذا الود الحنون: شعورنا معه برفع التكاليف، وإزالة الحواجز بيننا وبينه؛ يستشعر القارئ لمقالاته بقربه منه، حتى كأنه يتلمسه بجواره، ويشاركه في حواره، يسمع همساته، ويجيب على تساؤلاته.

يقول من مقالة «بين العلم والأدب»: «... ودع هذا... ولنأخذ الاختراعات النافعة: لنأخذ المواصلات مثلاً، لا شك أن العلم سهّلها وهوّنها؛ فقرّب البعيد، وأراح المسافر ووفر عليه صحته ووقته ولكن هل أسعد البشرية؟

أحيلك على «شبنكر» لترى أن البشرية قد خسرت من جرائها أكثر من الذي ربحته»[(١)].

ومن مقالة «الأدب العربي في مدارس العراق» قوله: «وسأتكلم عن كل درس من هذه الدروس بإيجاز واختصار. الإنشاء: أستأذن أولاً زملائي الكرام في عرض هذه الآراء؛ فلست ألقي عليهم دروساً، ولا أزعم أن ما أقوله هو الصواب، ولكني أعرض تجاربي..»[(٢)].

على أن الطنطاوي قد أضاف إلى هذه القيمة التعبيرية الوجدانية

---

(١) فكر ومباحث، علي الطنطاوي، ص٢٣.

(٢) السابق، ص١٥٣.

openkanal.com

فـي حديثه الإذاعي أو المرئـي أبعاداً أخرى، تتمثل فـي حسن الإلقاء، وطريقة الأداء التي لها دور مهم في جذب النفوس، وارتباط القلوب.

ولذلـك يقـول الدكتـور أحمـد بسـام سـاعـي: «ولا أشـك فـي أن (بساطـة) الطنطاوي موهبـة أحسن استخدامهـا، وتمكن من تثقيفها معـاً؛ فلم تعـد لهجتـه التحديثية القريبة إلـى النفس، وحـركات يديه التوضيحيـة المعبّـرة، وتنقلات رأسـه بين ارتفـاع وانخفاض، وتقدم، وتأخـر، أو تحريكه لنظارتيه بيـن الحين والآخر صعوداً وهبوطاً، فيرى إلينـا من فوقهما حيناً، وإلـى الأوراق بين يديه من خلالهما حيناً آخر، ثـم الجـو الواقعي الذي يحيط به نفسه، وهو يتوجـه ـ أحياناً ـ بالحديث إلـى المصور أمامـه، أو يفاجئنا بالتفاتة سريعة إلـى ساعته خشية أن يدركـه الوقت، أو يمد يـده إلى آلة التسجيل التي وضعها بجانبه؛ ليقلب شريطها، لم تعد كل هذه الأمور الجزئية الصغيرة مجتمعة، مما يخطط له الطنطاوي قبل دخوله (المنفرد الإذاعي) بل أصبحت جزءاً عضوياً مـن موهبتـه التحديثيـة على مر الزمـن، يبعدنا به عن الجـو الإذاعي الرسمـي (المتأنق)؛ ليشعرنا وكأننا معه في جلسة منزلية خاصة ترفع فيها كل قواعد التكلف، والتأنق و«الرسميات».

لقد استطاع أن يقيم توازناً رائعاً في استعماله لكل هذه الجزئيات التي تسم شخصيته التحديثية بالبساطة والواقعية الآسرتين»[١].

---

(١) «الواقعية الإسلامية في الأدب والنقد»، د/ أحمد بسام ساعي، ص١٤٢.

كذلك يقوي الطنطاوي هذه العلاقة الوجدانية بالمتلقين عنه، بإشعارهم باهتمامه بهم، وحرصه عليهم بانفعال صادق، وود حنون، من شأنه تحريك العاطفة، وإحياء القلوب، بطبيعة لا تكلف فيها ولا اصطناع.

يقول من مقالة «يا ابنتي»: «هذه نصيحتي إليك يا ابنتي، وهذا هو الحق فلا تسمعي غيره، واعلمي أن بيدك أنت لا بأيدينا معشر الرجال، بيدك مفتاح باب الإصلاح، فإذا شئت أصلحت نفسك، وأصلحت بصلاحك الأمة كلها...»[(١)].

ومن مقالة «نداء إلى أدباء مصر» يقول: «... فخبروني ماذا يصنع هذا الكتاب بنفوس الناشئة إن هم قرؤوه؟ أي قدوة لهم في الحياة تكون لهم فيه؟ أي نمط من العيش يحبب إليهم؟ أما والله إنه لخطب داهم.. ليس خطب هذا الكتاب وحده، فإن له لأمثالاً، وإنا من أمثاله لكثير كثير»[(٢)].

ويضاف إلى هذا قدرة الطنطاوي في كثير من مقالاته على تهيئة جو من الارتباط العاطفي بمتلقيه من خلال الافتتاحيات التي يستهل بها المقال؛ ليقدم إلى متلقيه ما يستأنس به، ويزيل وحشته، ويتهيأ به لاستقبال موضوعه بذكر حادثة خاصة وقعت له، أو خبر سمعه، أو ملاحظة لاحظها في أثناء عمله... متوخياً فيها ارتباطها بالموضوع،

---

(١) صور وخواطر، ص١٥٥.

(٢) صور وخواطر، ص١٥٨.

وتلوينهـا بلون نفسه في موضوعه، من مزاح، أو سخرية، أو استبشار... إلخ.

وهذا لا يكون إلا من وحي الذوق، وإلهام الطبع اليقظ[١].

مـن ذلك قوله فـي بداية مقالـة «استعدوا للحـرب»: «أحلف باللّه ليصدق القـراء أن ما أكتبه اليوم قد وقع البارحة، وأنه ليس خيالة من خيالات الأدباء...»[٢].

وقوله فـي بداية مقالة «الموضة»: «كنت أعـددت لهذا العدد كلمة غير هـذه، وحملتها إلى الجريـدة فلقيني عند باب العمـارة صديق لي مـن الموظفين، له مرتـب جيد، وزوجـة متعلمة بنت أكابـر، وقال لي: أستحلفك باللّه أن تسمع ما أقول لك وتنشره غداً...»[٣].

فهذه المقدمات الجاذبة من شأنها تهيئة العقول، وتشويق النفوس؛ لاستكمال الموضوع، والانتباه لجزئياته، وترقب نهايته.

وهـذه الأمور كلهـا تمنح الموضوع روحاً محمـودة، وعواطف حية، تولد فـي النفوس الانتبـاه، والقبـول، والاستجابة، والإعجـاب، الذي يحتاجه كل داعية صادق في إصابة هدفه وتحقيق غرضه.

وإذا كان مـن التعـرف على وجدان الأديب التعـرف على من ينقل عنـه، أو يقتبس منـه، فإن وجدان الطنطاوي متعلـق بالإسلام، منطلق

(١) تذكرة الدعاة، البهي الخولي، ص٣٨١.
(٢) مقالات في كلمات، ج ٢، ص١٢٩.
(٣) السابق، ج ٢، ص١٦٠.

obeikandl.com

من منهجه؛ لذلك كان يطالعنا في مقالاته بين الحين والحين مقتبساً، أو مستشهداً بآية، أو حديث، وقد يجتزئ من الآية، أو من الحديث بما يؤكد معناه ويقويه.

فمن استشهاده من القرآن الكريم قوله: «أليس عجيباً أن يقول الله في كتابه: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾[١] ثم يكون في المؤمنين من هو ذليل في نفسه!؟»[٢].

ومن استشهاده بالحديث القدسي قوله: «وروي - أيضاً - أن رسول الله ﷺ قال في الحديث القدسي: «ما لعبدي المؤمن عندي جزاء إذا قبضت صفيه من أهل الدنيا (أي مات من هو عزيز عليه) ثم احتسبه (صبر ورضي بالقضاء) إلا الجنة»[٣]. فيا أيها المصابون المتألمون! هذه بشارة من رسول الله ﷺ لكم، فاصبروا حسبةً؛ لتكون لكم الجنة قبل أن تصبروا سلواً ونسياناً»[٤].

ومن اقتباسه من القرآن الكريم قوله: «لقد كان أعداؤنا يخربون بيوتهم بأيديهم، وأيدي المؤمنين؛ فرحنا نخرب طرقنا بأيدينا، وأيدي الإنكليز ﴿ فَٱعْتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴾[٥].

---

(١) سورة المنافقون، من الآية ٨.

(٢) من مقالة المثل الأعلى للشباب، علي الطنطاوي، ص٦٠.

(٣) صحيح البخاري «كتاب الجامع الصحيح المختصر» للإمام محمد بن إسماعيل البخاري، ج٥، ص٢٣٦١، حديث رقم ٦٠٦٠ تحقيق د/ مصطفى ديب البغا، الطبعة الثالثة ١٤٠٧هـ، دار ابن كثير، دمشق.

(٤) فصول إسلامية «الصبر» علي الطنطاوي، ص٢٢٥.

(٥) من مقالة المدينة، من نفحات الحرم، علي الطنطاوي، ص١٢٦، والآية من سورة الحشر، آية: ٢.

obeikandl.com

ومـن اقتباسـه مـن الحديث قولـه: «... فصـار إلى بلـد يرى فيه حيثمـا تلفـت أسـراب الحسان المثيـرات كاسيـات عاريـات مائلات مميلات...»[١].

كمـا يلاحظ توظيف الطنطاوي للتاريـخ الإسلامي واستلهامه من حيـاة أعلامه، ما يؤكـد فكرته، ويحمل على الاقتنـاع برؤيته، من ذلك قولـه: «... ألم يكن الصحابة رهباناً بالليل جناً في النهار!؟ ألم يقتنوا الأمـوال، ويشتغلوا بالتجارات، ويقبلوا علـى الصناعات، ألم يكن كبار العلماء تجاراً، وأصحاب أعمال ضخمة!. أبو حنيفة كان له بيت تجاري كبيـر يديره بنفسه، وابن المبـارك كان يستورد البضائع من خراسان، والليـث بـن سعد كانت وارداته في السنة عشريـن ألف دينار من كسبه وعملـه، لا من احتـراف الوعظ، وتقبيل اليـد، وإطالة اللحيـة، وإمالة العنق!»[٢].

وهذا بلا شك يعكس انفعال وجدان الطنطاوي بالإسلام، وصدوره عنه، وارتباطه به في أفكاره، وعواطفه، وتعبيراته.

ولـكل ذلك رأينا وجدان الطنطاوي صحيحـاً سليماً متزناً بميزان الإسلام الذي جنبه انحراف الرؤيـة، وشطط الخيال، وتدني الأسلوب فـي كل ما كتبـه وصدر عنه، إلا أنه قليلاً ما رأينـاه. كأي إنسان خاصة

(١) مـع النـاسـ «رسالة» علي الطنطاوي ص١٦٦. والحديث في صحيـح مسلم، جـ٣، ص١٦٨١، رقم الحديث ٢١٢٨.

(٢) فصول إسلامية «كتاب في الدين الإسلامي» علي الطنطاوي، ص٢٤٣، ٢٤٤.

في شبابه وهي مرحلة تقلب العواطف ـ عندما يتعرض لظروف خاصة، وعوارض طارئة تؤثر في وجدانه، ويستسلم لها؛ فتبدو رؤيته لذلك بعيدة عن اتزانه وانضباطه المعهود.

من ذلك نبرة السخط واليأس في مقالة «زفرة أخرى» التي منها قوله: «يا رحمة الله على الأيام التي كنت فيها غراً مغفّلاً، أصدق كل خدّاع كذّاب، يزعم أن في الدنيا فضيلة وخلقاً، وأن قيمة الإنسان بما يملك منهما.

لقد خدعني المعلمون والأدباء فلماذا أخدع تلاميذي؟ لماذا لا أقول لهم: إن المكر والكذب، والنفاق هي في شرع الحياة فضائل، فأعدوا قواكم لإصلاح المعوج من شرائعها، أو فانزلوا على حكمها، فخاطبوهم بلسانها وادخلوا من بابها؟»[١].

ويستمر بتلك الرؤية المتشائمة إلى أن يقول: «وكنت أرى الحب أساس الحياة، عليه قام الكون، وبه استمر الوجود، وكنت أؤمن به، فغدوت لا أؤمن إلا بالبغض، وصرت أحب أن أبغض، وأبغض أن أحب...»[٢].

فهذه العبارات التي تحمل السخط واليأس تعكس مدى انفعال الطنطاوي بعوارض طارئة أفقدته توازنه، وشوهت رؤيته، فبدت الحياة في عينيه مظلمة لا خير فيها ولا فضيلة...

(١) من حديث النفس «زفرة أخرى» علي الطنطاوي، ص٩٢.

(٢) السابق، ص٩٢.

obeikandi.com

وهــذه الرؤيــة بعيدة عــن الإسلام الــذي يحارب اليأســ، ويبغض السخط والقنوط، ويدعو إلى الأمل في الله والرضا بحكمه، قال تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[(١)].

على أن هذه النظرة كانت غريبة على الطنطاوي، وهذا الإحساس طـارئ عليه؛ ولعله كان انعكاسـاً لحادث أثّر في نفســه، أو أثر لمذهب سرعــان مــا تخلص منه، بل دعــا الكتاب إلى نبــذه والتخلص منه بعد ذلــك، فقال: «حسبنــا بكاءً، ويأسًا، ورثاءً للماضــي، وفزعاً مما يخبئ لنــا المســتقبل! كفى تبرماً بالحيــاة، وشــكــوى منها، ودعونا من أدب «لا مارتين وموسيه»[(٢)].

ولهــذا فقلما نجد الطنطاوي في وجدانــه مستجيباً لمثير خارجي كهــذا، فتختلــط به رؤيته ويبتعد عــن وجهته. كقولــه: «... لما كنت في العــراق كنــت أرى بعضــ العراقييــن يظهــرون الكراهيــة للمدرسيــن السوريين وينفسون عليهم رواتبهم التي يأخذونها...»[(٣)].

هذا الحدث أثر فــي وجدانه فرأيناه بسببه يخرج عن إطاره الذي عرفنــاه به، فــي دعوته للوحــدة، وثورته على الحدود والقيــود الدولية؛ حيث قال:

---

(١) سورة آل عمران: آية ١٣٩.

(٢) ذكريات علي الطنطاوي «الأديب القومي»، ج٢، ص٢٩١.

(٣) في سبيل الإصلاح من مقالة «وكم في مصر من بنات أميات»، ص٤٦.

«... فعلى كل قطر ألا يدع في أبنائه فقيراً، وألا يترك فيه رجلاً بلا عمل، وأن يمنع الغرباء عنه من مزاحمة أهله في زراعته وتجارته وصناعته، حتى إذا اشتغلوا جميعاً، وبذلوا قواهم كلها، وبقي فيه بعد ذلك فراغ لأيد غير أيديهم، وأموال غير أموالهم استعانوا بأبناء الأقطار العربية الأخرى، ولم يفتحوا لهم الباب إلا بمقدار الحاجة، أما أن يجيء السوري ليعمل في مصر، ويجيء المصري ليشتغل في الشام، ويترك أهل البلد بلا مال ولا عمل، فتفسد البطالة أخلاقهم، ويذل الفقر نفوسهم، ويعلمهم هذا وذاك كره أخيهم العربي، فليس من مصلحة العرب أن يكون!. هذا رأيي أعلنه بلا جمجمة ولا مداراة»[1].

فإذا كان هذا من مصلحة العرب فمتى يشعر المسلم إذاً بوحدة أمته الإسلامية وهو لا يستطيع أن ينتقل بين أقطارها أو ينال من حلال خيراتها، وقد جعل الله من الانتقال والهجرة ما يكون سعة للفقير، ونجاة للضعيف!؟

قال الله تعالى: ﴿وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِي ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً﴾[2].

وإلا فالمشكلة لم تعد في الحدود فقط، وإنما في تفاوت الأجور، واختلاف قيمة «العملات» تلك التي دعت إلى الإقبال والتزاحم على بعض البلدان، وتولد السخط والضجر في بلدان أخرى، ولو عولج هذا،

---

(١) السابق، ص٤٧.

(٢) سورة النساء من الآية ١٠٠.

فتقاربت الأجور، واتفقت العملات ما طمع الناس في الانتقال والترحال إلا للضرورات؛ لأن اللّه فطر الناس على حب أوطانهم وأماكنهم التي نشؤوا فيها، وحينها لو أزيلت الحدود لهدأت النفوس، وصارت أقوى في تضامن الأمة ووحدتها؛ إذ يشعر المسلم حقيقة أن وطنه هو العالم الإسلامي الواسع لا قطره المحدود.

أما في ظل الحدود وتفاوت الأجور ومنع الغرباء، فإن المشكلة تتفاقم والشقة تتباعد، فتنمو الفرقة، وتظهر الأنانية، وتبدو السلبية، وعدم الانتماء.

والأديب مطالب بأن تتسع نظرته في الإصلاح إلى آفاق إسلامية بعيدة؛ ليدفع الناس إلى التطلع إليها والسعي نحو تحقيقها، لا أن يجهد نفسه في ترميم بناء متهالك يوشك على الانهيار!

ولعل الذي دفع الطنطاوي إلى هذه الرؤية استسلام وجدانه لهذا العارض السابق الذي غير وجهته، وبدت من خلاله نظرته؛ وبهذا تتضح خطورة استسلام الأديب للعوارض الطارئة التي تصبغ نفسه بصبغة يلام عليها.

وبعيداً عن هذه الهنات فإن عاطفة الطنطاوي القوية، ووجدانه الصادق قد أضفى على منهجه الاعتدال، وعلى ألفاظه وصوره الحيوية والقوة والاتزان؛ حيث إن وجدانه منفعل بالإسلام، متزن بقيمه وتعاليمه، مما أكسبه إقناعاً وثقة بين جماهيره الكثيرة؛ ولذلك كانت كلمته تستمد قوتها من صدقها، وإيمانه بها.

يقول الأستاذ / سيد قطب - رحمه الله: «إن الكلمة لتنبعث ميتة وتصل هامدة مهما تكن طنانة رنانة متحمسة إذا هي لم تنبعث من قلب يؤمن بها، ولن يؤمن إنسان بما يقول حقاً إلا أن يستحيل هو ترجمة حية لما يقول، وتجسيماً واقعياً لما ينطق، عندئذٍ يؤمن الناس، ويثق الناس ولو لم يكن في تلك الكلمة طنين ولا بريق... إنها حينئذ تستمد قوتها من واقعها لا من رنينها، وتستمد جمالها من صدقها لا من بريقها... إنها تستحيل يومئذ دفعة حياة؛ لأنها منبثقة من حياة»[1].

فإذا كان الطنطاوي لا يتكلم إلا بما يعتقده بانفعال صادق، ووجدان حي، بعيداً عن الزيف والادعاء والتمويه حتى كان في أحاديثه الإذاعية «يقص الحكاية الطريفة فيضحك لها ببراءة الأطفال، وكان يسرد الحكاية الحزينة، فيبكي لها بكاء الخاشعين»[2]، علمنا مدى ما كان لكلمته من أثر في النفوس وسيطرة على القلوب.

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب، ج١، ص٦٨، الطبعة ١١. دار الشروق ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م.

(٢) هاجر أم المسلمين، من مقالة السابقون إلى الدار الآخرة الشيخ علي الطنطاوي في ذمة الله، للأستاذ/ أنور عبد المجيد الجبرتي، ص١٧، العدد٥٠، السنة العاشرة، ١٥ جمادى الأولى ٢٦ أغسطس ١٩٩٩م.

obeikandl.com

الفصل الرابع

مظاهر الاتجاه الإسلامي
في خيال الطنطاوي

اختلط مفهوم الخيال عند أصحاب المذاهب المختلفة[(١)]، ولكنه من المنظور الإسلامي وبعبارة موجزة مجملة كما يقول أستاذنا الدكتور/ إبراهيم عوضين: «هو القوة الفنية التي يحوّل الأديب بها المعاني صورًا يعبر عنها بما يملك من ألفاظ وتراكيب، وصيغ فنية مشحونة بالأحاسيس والمشاعر والإيحاءات التي تلائم المتلقي، والتي تعبر في الوقت نفسه عما يجده هذا الأديب»[(٢)].

وعلى ذلك «فالخيال وسيلة فنية يتمكن بها الأديب من رؤية الجوانب المثيرة في الموقف أو الحدث، والوقوف على ما تحدثه تلك الإثارة الانفعالية في نفسه، وما تولّد عنها من عواطف... كما يتمكن بها من إعادة ترتيب ما رآه ووقف عليه، ليهيئه في الصورة التي تحدث الأثر نفسه في المتلقي أو تنقل إليه صورة مما وجده الأديب المبدع»[(٣)].

---

(١) النقد الأدبي الحديث، د/ محمد غنيمي هلال، ص ٣٨٨ وما بعدها، ط دار نهضة مصر، ١٩٩٦.

(٢) في النقد الأدبي الإسلامي، د/ إبراهيم عوضين، ص٢٥٧.

(٣) السابق، ص٢٦٦.

obeikandi.com

ولا يقوم هذا الخيال بدوره الفطري الصحيح، ولا يؤدي وظيفته الفنية السديدة إلا إذا كان يلبي دواعي الفطرة القائمة على مزج عنصري الإنسان»[١].

وأما عن خيال الطنطاوي ودوره في أدبه، فيبدو بمظهره الإسلامي من خلال المباحث الأربعة الآتية:

المبحث الأول: خيال الطنطاوي في خطبه.

المبحث الثاني: خيال الطنطاوي في قصصه.

المبحث الثالث: خيال الطنطاوي في تراجمه.

المبحث الرابع: خيال الطنطاوي في مقالاته.

(١) السابق، ص٢٨٨.

obeikandl.com

المبحث الأول

خيال الطنطاوي في خطبه

الخيال الطنطاوي في خطب الطنطاوي

إن مـن يتأمل خطب الطنطاوي يلاحظ أنه استخدم الخيال وسيلة فنيــة تجسد المعانــي وتبرز الخواطر، وتكشف عـن انفعالاته وعواطفه التــي تعتلج في صدره، والتــي يريد نقلها إلى الآخريــن وإشعارهم بها؛ لتتضح فــي أذهانهم على حقيقتها القائمة فــي نفسه، وكأنما يريد بها «إثبات الغرض المقصود في نفس السامـع بالتخييل والتصوير، حتى يكاد ينظر إليه عيانا»[١].

من ذلك هذه الصورة التي قالها «في مساندة الجزائر» التي نقلت أحاسيســه تجـاه (المحتل) البغيض، وجسدته بوحي الألفـاظ وأبعاد الصورة، قال الطنطاوي:

«... أعرض عليكم لوحة صغيرة من لوحات الثورة... كنت يوما في بسيمة في أواخر الثورة، وبسيمة جنة من الجنان في وادي بردى... وكان

(١) المثل السائر، ابن الأثير ١/٧٨، ط المكتبة العصرية، بيروت.

obeikandl.com

فيها البطل عز الدين الجزائري... وكان في عدد قليل من المجاهدين، فكانت تخرج له الحملة الضخمة من الجنود، معها السلاح والعتاد فيربط لهم فم الوادي، فيصيد جنودها ويهزمها ويردها، فتعدو فرنسا على القرى الآمنة تنتقم لعجزها منها، فتسوق البرآء من أهلها إلى الموت، وتذيقهم العذاب قبله ألوانا وتهدم البيوت وتنهب الأموال»[١].

يلاحظ هنا أن الطنطاوي في خياله وتصويره متوجه بتوجه الإسلام وقيمه؛ حيث لم يزيّف في تصويره على مستمعيه بتهويل وتضخيم قوة الأعداء حتى لا يدخل في نفوسهم اليأس والقنوط، كما لم يهون من شأنهم حتى لا يدفعهم إلى التراخي والكسل، وإنما صور الجنود الفرنسيين في صورتين:

الأولى: صورتهم الضعيفة الهزيلة التي لم تمكنهم من الثبات أمام قلة من المجاهدين؛ ليبث بتلك الصورة الأمل في القلوب والرجاء في النفوس بتحقيق النصر عليهم.

والصورة الأخرى: صورة الجنود الفرنسيين في حمقهم ونذالتهم وقوتهم المتغطرسة والمتجبرة في مواجهة العزل والمساكين؛ ليشحن بهذه الصور النفوس بالكراهية والسخط الذي يدفعها للحركة والعمل والثورة والانتقام.

وقد استطاع الطنطاوي من خلال هذه الألفاظ والتراكيب في تلك الصورة أن يكشف لنا عن انفعال نفسه، وينقل إلينا أحاسيسه

---

(١) هتاف المجد، علي الطنطاوي، ص٢١٩.

تجاه هؤلاء (المحتلين). فرأينا بهذا التصوير تجسيدًا حيًّا لتلك المأساة، واستحضار الماضي المؤسف الذي يمازجه الأمل، ويعانقه الرجاء.

وقد اعتمد الطنطاوي في تعميق صورته على المفارقة بين أمرين: بين وادي بسيمة وهو جنة من الجنان، وما توحيه كلمة جنة من بهجة وحياة وخضرة، وبين وادي بسيمة بعد العدوان وما أصابه من خراب ودمار ونهب وقتل...، وكذا بين شجاعة المجاهدين وبأسهم الشديد، وضعف الفرنسيين أمام المجاهدين وبطولتهم على المساكين.

كما يلاحظ أن الطنطاوي توجه بهذه الصورة إلى شتى منافذ الإدراك لدى الإنسان لتشترك كل حواسه في التعرف على صورته؛ ولتنتقل إليه حية كاملة كما استقرت في وجدانه.

فكلمة «جنة» تحرك الخيال إلى لون الخضرة والزروع والروائح والعطور، ومناظر الأزهار، وأشكال الغصون والثمار.

وفي تعبيره عن كمال سيطرة المجاهدين ومدى تمكنهم من الوادي بقوله: «فيربط فم الوادي» وما يحركه في الخيال من حركة الضم والربط الذي يوحي بكمال السيطرة وشدة التمكن.

وكلمة «فتسوق البرآء من أهلها إلى الموت» كلمة تسوق تجسيد للحركة الشديدة في مدافعة البرآء، والعنف في دفعهم في إهانة وإذلال، كما تساق الماشية بالزجر والضرب.

وكلمة البرآء، تعكس مدى الإحساس بالظلم والشعور بالألم، كما تحرك الشفقة عليهم «خاصة أنهم من النساء والأطفال» والسخط على أعدائهم الجبناء. وإسناد السوق إلى الموت فيه تشخيص للموت في صورة وحش كاسر تساق ضحيته إليه في عنف وقوة لا مهرب منه ولا حيلة معه.

وكلمة «تذيقهم العذاب قبله ألوانا» تحرك الخيال إلى طعم العذاب الذي يتجرعونه، وتغص مراراته في حلوقهم قبل أن ينزل على أجسادهم، وكلمة ـ ألوانا ـ توحي بشدة وقع العذاب وتنوع صور التعذيب الجسدي والنفسي والروحي.

وكلمة «تهدم البيوت وتنهب الأموال» تحرك الخيال إلى صورة الهدم البشعة وسرعة الحركة في الاستيلاء والسرقة، كما تعكس مدى الاستباحة والخراب والتشرد والضياع، الدال على التوحش والتجبر.

وجاءت الأفعال مضارعة، مع أنها وصف لحدث مضى؛ لتدل على استحضار الصورة واستمرارها بكل جوانبها وظلالها.

فهذه الصورة الكلية قد عكست صلابة المجاهدين أولاً، وكشفت عن الطبيعة الأخلاقية والنفسية للفرنسيين كما هي قائمة في نفس الطنطاوي ثانيًا.

وللجزائريين بعد ذلك صورة قائمة في نفسه تبعث على الأمل يقول: «لكن الجزائر اليوم أوعى منا يومئذ، لقد تقدم الزمان. إن الجزائر تقف صفا واحدا...»[1].

---

(١) هتاف المجد. علي الطنطاوي، ص٢٢٠.

obeikandi.com

فهذه الصورة عكست إحساس الطنطاوي وإيمانه بترابط الجزائريين ووعيهم وتماسكهم؛ ليؤكد بهذا على أن الجزائر اليوم تستنفد كل ما في طاقتها، وتسعى في ترابط لخدمة قضيتها، فهي لذلك جديرة بالمساعدة وتستحق المعاونة، فهي ليست مفككة ميتة الإرادة، ولا متكاسلة متراخية؛ ليقطع بهذه الصورة الطريق على من يصرف العبء عن نفسه ويلقي بالتبعة عليها.

ويلاحظ تعانق الصور الأدبية مع الصور المجازية في ارتباط قوي مؤثر، يحمل في تلافيفه إيحاءات تهز النفس وتثير الخواطر، وتجسد المعاني؛ ليتحقق بذلك أعلى قدر من الإثارة والإقناع؛ لأن الأساليب تقدر بمقدار ما توقظ وتثير وتحرك، حتى إن أقواها ما ينقلنا إلى حالة نحس فيها أحاسيس جديدة ونعيش بها أجواء جديدة»[١].

وعلى ذلك فقد وظّف الطنطاوي الخيال توظيفا إسلاميا في تقريب المعاني البعيدة، وإبراز العواطف والأحاسيس التي تحرك النفس وتوقظ الحس بصورة خلابة، متسقة العناصر، مستمدة من الحقيقة الذي يجمّلها الخيال ويعمّق الإحساس بها، بعيدا عن الغموض والإسفاف، وصنع الأساطير والأوهام.

(١) التصوير البياني، دراسة تحليلية لمسائل البيان، د/محمد أبو موسى، ص٣٥٤، ط٢، دار التضامن، القاهرة ١٤٠٠هـ، ١٩٨٠م.

obeikandi.com

obeikandl.com

المبحث الثاني

خيال الطنطاوي في قصصه

الخيال في قصص الطنطاوي:

الملاحظ على خيال الطنطاوي في قصصه أنه خيال إسلامي وثاب، متزن باتزان الإسلام ومنضبط بقيمه؛ حيث كان بعيدا فيه عن الشطحات والتهويمات التي تغرق الإنسان في أوهام بعيدة عن الحق والواقع، وبعيدا فيه عن الخلط والتشويش والخداع، ومتجنبا فيه ما يثير الغرائز ويشعلها بتصويرات شاذة ومنحرفة.

وإنما نراه استخدم الخيال وسيلة كشف وتشويق، أو عرض وتصوير لوقائع الأحداث والربط بينها بصورة تجعلها تقع في نفس المتلقي كما وقعت في نفسه.

ومن هنا رأيناه في قصصه التاريخية، قد استمد مادتها من التاريخ، وأمدها بالخيال المعتدل في تنسيق وترابط رائع، وعرض وتشويق جذاب، فبث فيها بذلك الحركة والحياة.

وفي قصصه الاجتماعية، نراه اتخذ من الواقع مرجعا له يستمد منه موضوعه، فقصصه إما أن تكون عن واقع اجتماعي حدث، أو يمكن حدوثه في الواقع.

obeikandi.com

ومـع هذا لم يأخذ الطنطاوي المنهج الواقعي على علاته بل طوعه للإسلام، حيث لم ينقل الواقع نقلا جافا، أو مثيرا للغرائز دون أن يعمل عقلـه وخياله، وموهبته الفنية في معالجة هذا الواقع معالجة فنية تبرز فيها الوجهة الإسلامية، والقيمة الأخلاقية التي تؤكد بالطريقة العملية الحية أن الدين بمثله وقيمه وواقعه الحيوي والتاريخي هو الأصلح لإقامة حيـاة صالحة، وهو الأقدر على مسايرة مستجدات الحياة والتغلب على عقباتها وتحدياتها.

فمـن مظاهر اعتدال خيال الطنطـاوي واتساقه في توازن مع العقل لاكتمال الصورة المقصودة، اصطناعه الحيلة في قصة «قضية سمرقند» التـي تمثلت في اصطـدام السمرقندي بالمسلـم الدمشقي في المسجد ليدور بينهما هذا الحوار الكاشف على نحو ما جاء في القصة من وصف لأميـر المؤمنين عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه وعرض مزاياه، وبعض أخباره التـي استقاها من مطالعة التاريخ ووظفها هنا في حوار شائق على لسان الدمشقي ردا على أسئلة السمرقندي وتطلعه؛ لتتضح الصورة التي كانت لأمير المؤمنين رضي الله عنه والتي يريد بعثها فينا من جديد.

وقد أحسن الطنطاوي بخياله في إيجاد هذه الشخصيات وتوظيفها توظيفـا يخدم هدفـه في عرض عظمـة المسلمين دون شعـور بإقحام لوجودهم، أو قلق أو خروج عن طبيعة القصة وأحداثها.

وفي قصة ـ تاج كسرى ـ نرى دور الخيال الإسلامي واضحا في كشف ما تمـوج به نفس الطنطاوي مـن أحاسيس وانفعـالات تجاه الأحداث؛ ليعمق إحساسنا بها من خلال شخصياته وعواطفهم. قال:

«ورجع سراقة وقد اجتمعت عليه المتناقضات من الأفكار والعواطف، وهاج في نفسه الطمع والخوف، والأمل واليأس، فجعل يقهقه في هذه البادية، ويصرخ كمن به جنة، ولم لا يجن!؟ وقد كان يأمل أن ينال الغنى ففاته ما كان يأمل، وقد فتحت فاها لتبتلعه الأرض فنجا، ولم يصدر بعد هذا كله إلا بوعد دونه خرط القتاد، وخرق النار، وخوض البحار.

ماذا!؟ أيعدني محمد سواري كسرى، كسرى شاهنشاه ملك الملوك.. وهو يقطع الصحراء هاربا من قومه، متخفيا في غار ليس معه إلا رجل واحد؟»[1].

فهذه الصورة أظهرت لنا مدى الاضطراب الداخلي والحيرة النفسية لسراقة رضي الله عنه وتردد هذه النفس بين الطمع والخوف، والأمل واليأس.

كما عكست صورة وجهه في تعجبه ودهشته، وأسمعتنا صوته في قهقهته وصراخه، وأبانت لنا عن حركة فم الأرض في ابتلاعه المماثلة لحركة فم الجائع في التهام طعامه.

وأظهرت لنا مدى صعوبة تصور صدق هذا الوعد في ذهن سراقة، فضلا عن تحققه وحصوله في ظل هذا الواقع الذي يراه.

وبهذا يتضح دور الخيال الإسلامي في كشف مكنون النفوس وإدراك أبعاد الأحداث وإحيائها.

---

(١) قصص من التاريخ، علي الطنطاوي، ص٢٢٤، ٢٢٥.

obeikandi.com

وخيال الطنطاوي في قصص الأطفال خيال إسلامي يربط الأحداث ويعرضها عرضا جذابا مشوقا بعيدا عن الخرافات وما يفسد العقول من حكايات الجن والعفاريت.

والخيال فيها قائم على إبراز قيمة الخير وتجميله وتقبيح الشر وتجريمه. وهي مستمدة من التاريخ، أعمل فيها فكره وخياله؛ لتخرج في هيئة فنية دون خروج على أصلها التاريخي، وبذلك كان معتدلا في خياله لا يجنح إلى الحد الذي يخرج به عن الإقناع إلى الشك بل كان حريصا على تأكيد واقعيتها وصدقها لغة وشخصيات، وزمانا ومكانا. كما كان قريبا في تصويره ليتناسب مع إدراك الطفل؛ ولذلك كثر اعتماده على الصور الأدبية ذات الألفاظ المثيرة للمعاني الحسية؛ لصعوبة إدراك الطفل للمعاني المجازية التي تحاشاها، وإن أتى بشيء منها فسره بالهامش.

من ذلك قوله حكاية عن الأخ الصغير: «رجعنا من تجارة لنا، فتظاهر بالورع، وقسم المال بيني وبينه، ولكنه أبقى مالي معه، يزعم أنه يحفظه لي، وواطأ جماعة من اللصوص، فطرقونا ليلا، وهجموا علينا ذبحا وجرحا، ثم هربوا وهرب معهم وتركني ملقى مع الأموات لا مال لي ولا ظهر»[١].

فيشير في الهامش إلى أن المقصود بالظهر: الدابة.

---

(١) وزارة بعنقود عنب، علي الطنطاوي، ص٣٤،٣٥.

obeikandl.com

وفي قصص الطنطاوي الاجتماعي يبرز دور الخيال في كشف انفعالات النفوس ومشاعرها اعتمادا على التصوير والإيحاء الذي يسهم في رسم ملامح الشخصيات وأبعاد الأحداث.

من ذلك هذه الصورة في قصة «بنات العرب في إسرائيل» لموقف الفتاة في مدافعتها اليهود وعجزها عن ذلك بما لها من مرارة وألم وحرقة عكستها دلالات الألفاظ بالحركة واللون والصوت والإيقاع. يقول الطنطاوي حكاية عنها:

«قالت: وجعلت أعدو حافية وقد سقط الحذاء من رجلي على التراب والشوك حتى لحقوا بي وأعادوني.

ورجعت أدافع فأحسست غرز إبرة في يدي ثم لم أعد أشعر بشيء!.

وسكتت لحظة؛ وكادت من الحياء يدخل بعضها في بعض، وصار وجهها بلون الحمرة، ثم تكلمت بصوت خافت كأنه آهات مكتومة لم أتبينها حتى دنوت منها، ولفحت أنفاسها الحرى وجهي»[١].

فهذه لوحة تصويرية غزت كل منافذ الإدراك الحسية للمتلقي؛ لتنتقل حية إلى وجدانه، وتقع من نفسه موقعها في نفس الأديب في انفعاله وإحساسه بها.

---

(١) قصص من الحياة، علي الطنطاوي، ص٢٥.

obeikandi.com

فكلمــة «أعدو» تجسد سرعة الحركة بلفظها وإيقاعها قبل مدلولها ومعناها، لما في اللفظة من خفة وجريان على اللسان حيث يتبع السكون الحركة مباشرة.

وكلمــة «حافية» تؤكد حرصها علــى هذه السرعة؛ حيث تكون أخف وأسرع بعيدا عن إعاقة الحذاء وثقله.

وكلمة «على التراب والشوك» تعكس صلابة هذه الفتاة، وإصرارها على الهرب، وتحملها في سبيله الألم.

و«حتــى لحقــوا بي» تفيد «حتى» الجهد والتعب مــن جانبهم، فلم تكن غاية سهلة. و«لحقوا بي» تفيد كثرتهم واستهدافهم لها مما يزيد من مشقتها وخوفها، فليس من يلحق بها واحد أو اثنان يسهل الخلاص منهما.

وكلمــة «ورجعت أدافع» تدل كلمة «رجعــت» بإيقاعها وجرسها قبل مدلولهــا على الثقل وصعوبة الرجوع إلى المدافعة ثانيا بعد فقد الجهد في المدافعة الأولى. كما تعكس استماتتها في الدفاع المرة تلو المرة.

وإيقــاع كلمة «رجعت» نفسه وتتابع الحــركات وحشرجة الجيم في الفــم أثناء النطق يعكــس ثقل هذه اللفظة في النطــق(١) بالإضافة إلى الثقل الملقى على النفس من معناها هنا في الرجوع إلى شيء مكروه.

وجملــة «فأحسست غرز إبرة في يدي» توحي بظلالها إلى ما كانت

(١) مخــارج الحروف وصفاتها، للإمام أبي الإصبغ السماتي الإشبيلي، ت ٥٦٠هـ، تحقيق د/ محمد يعقوب تركستاني، ص١٣١،١٣٥، ط الثانية ١٤١٢هـ، ١٩٩١م.

obeikandi.com

عليه الفتاة من الانشغال بالمدافعة، والانهماك فيها حتى إنها لم تر الإبرة، ولم تدر متى جهزت، وإنما أحست بغرزها في يدها مباشرة.

«وسكتت لحظة» توحي بالمرارة والحرارة التي جففت حلقها فمنعتها الكلام، كما تعكس حياءها في التعبير عما حدث، وحيرتها في التعبير عنه. «وكادت من الحياء يدخل بعضها في بعض، وصار وجهها بلون الحمرة، ثم تكلمت بصوت خافت».

هذه كلمات معبرة بظلالها ومدلوها عما يعتلج في نفس الفتاة من حياء وخجل، بدت دلالته في هذه اللوحة الحسية المعبرة بالحركة واللون والصوت حتى غدا الحياء والخجل ناطقا بتداخل النفس، وانكماش الجسم واحمرار الوجه وخفوت الصوت.

ثم نراه يشبه خفوت الصوت وثقل الإفصاح باللفظ المخزي «بالآهات المكتومة» التي خرجت محملة بلفح من بركان النفس التي تغلي بحرارة ما حدث حتى لفحت بحرها وجهه.

وهكذا تعانقت العناصر الفنية من الصور الأدبية بأبعادها الشعورية التخيلية والإيحائية للوصول إلى الغاية التي قصدها أديبنا؛ لتعميق الإحساس في النفوس بمأساة هؤلاء الفتيات وما يتعرضن له من تعذيب وإذلال.

كما أن الخيال جسد لنا صورة تلك الفتاة في مدى حرصها على شرفها ودفاعها عنه، وأوقفنا على آلامها وعذابها بفقده في صورة تقطر أسى وحرقة وألم.

obeikandl.com

المبحث الثالث

خيال الطنطاوي في تراجمه

يقوم الخيال في ذكريات الطنطاوي وسيلة لكشف انفعالاته تجاه ما مر به من أحداث، وتلوينها بلون نفسه دون زيف أو ادعاء؛ لنشاركه الشعور والإحساس بجمال ماضيه أو آلامه.

ويلاحظ أن خيال الطنطاوي في ذكرياته خيال خصيب موظف توظيفا إسلاميا يرفع به من شأن القيم ويجملها ويقبح به الرذائل ويهجنها؛ ولذلك كان يحمل صوره توجيهات، ويلتقط من الأحداث دلالات ومعاني إسلامية تعكس حرصه على نقل تصوره الإسلامي لمتلقيه.

من ذلك تصويره لما رآه في مدينة «سورابايا» بأندونيسيا[١].

يقول: «إذا عددت الأيام التي مرت عليّ صفوا بلا كدر كان من أول ما أعد منها يوم نزهة «سورابايا». وهي نزهة أعدتها لنا وأكرمتنا بها الحكومة الأندونيسية، وهاكم بعض خبرها:

(١) هي مرفأ في جاوة، ثاني مدن إندونيسيا (المنجد في اللغة والأعلام، ص٣١٤).

obeikandl.com

خرجنا من «سورابايا» فما جاوزنا البيوت حتى رأينا على جوانب الطريق حقولا مغرقة بالمياه، ممتدة على سيف البحر، مقطعة قطعا محددة بسدود من التراب على هيئة الجدران، وظلال أشجارها طبقات فوق طبقات، وعلى الطريق سقف من أغصانها المتشابكات، يمنع الشمس أن تصل إلينا، إلا نظرات تختلسها اختلاسا من فرج الأغصان، وتسمح للنسيم أن يمسح وجوهنا بيد لينة معطرة، كأنها مس يد الحبيب عند غيبة الرقيب!.

وأخذنا نصعد، والطريق يستدير ويلتوي، والقرى المنثورة على السفوح تظهر ثم تختفي كصبية تلاعب فتاها، يلحقها فتزوغ منه، ويهم بأن يدعها فتتراءى له، فهي تطمعه، ولا تطعمه! ثم غاب عنا الجبل الأعظم، فسرنا على حافة الوادي الضيق، ندور بأكمة مخضرة محمرة، كأنها لوحة في بهو، وأين لوحات الأبهاء مما صوره بارئ الأرض والسماء؟

وأين الصورة الميتة من الحقيقة الحية؟»[١]

فالطنطاوي هنا وصف لنا هذا المشهد الرائع في بيان عجيب، أبرز المعاني والأحاسيس المجردة في صورة حية متحركة، تجسدت في الخيال بحركتها ولونها وشكلها الجميل؛ لنرى بذلك جمال صنع الخالق في الكون، ويلفتنا إلى قدرة المصور البارئ سبحانه وتعالى.

(١) ذكريات علي الطنطاوي ٦/١٦٦، ١٦٧.

«.. وكانت المشاهد تمر بنا متعاقبة، إذ نمر بها مسرعين، فننتقل من نشوة إلى نشوة، ومن متعة إلى متعة، فلا أدري أيها أجمل في العين وأحلى في القلب! ولكل مشهد قصة تدور بها الألسنة..».

«ومررنا بعده ببلدة قديمة، كانت عاصمة جاوة الإسلامية يوما، اسمها «سنفو ساري» أي الأسد الشجاع، ولها قصة، وكنا نسير بين هضاب متجاورات كلها مكسو بالأشجار المثمرة، والبيوت قد تناثرت عليها بسقوفها المائلة الملونة كأنها بيوت الأطفال عند بياع اللعب، وكل منها لها قصة. والأنهار تجري خلالها صغيرة وكبيرة، مستقيمة وملتوية، رائقة وعكرة، هادئة وهادرة، قد اختلفت طبائعها وغاياتها، فكأنها أصناف البشر إذ يمشون على طريق الحياة.

ولكل واد في العين منظر، ولكل بقعة في النفس أثر، وكنا كالطفل المحروم دخل مخزن اللعب، كلما رأى لعبة ظنها تحفة التحف، فقال: هذه التي أريد، فإن رأى غيرها وجدها أحلى منها، فعدل إليها عنها!.

كنت كلما أبصرت مشهدا قلت: قف بي هنا، إن هذا هو أجمل المشاهد، ثم أجوز إلى غيره فأنسى لروعته الأول، وهم يقولون لنا: هذا كله ليس بشيء، فأقول: وما هو الشيء؟ فيقولون: أمامكم.

ورأينا النساء في كل مكان من جاوة - إلا المدن الكبار - يحجبن الرأس بخمار أبيض أو ملون، فلا يظهرن إلا ما أذن بإظهاره، وهو الوجه والكفان، وإن وجب سترهما إن كانت فتنة بهما.

obeikandl.com

ثـم انحدرنا كما صعدنا، وهذه سنة الحيـاة، ما علا عال إلا نزل، ولا طـار طائر إلا هبط، وسلكنـا على سهل بيـن سلسلتين من الجبال: السلسلـة التي كنا فيهـا، والأخرى التي كنا نراها مـن أمامنا في سهل كأنه سهل البقاع في بلاد الشام، لولا أنه أوسع سعة، وأجمل جمالا.

وجزنـا ببلدة كبيرة، اسمها مدينة «باتـو: أي الحجر» جالسة على ذيـل الجبل الـذي نزلنا منه، ممتـدة شوارعها في السفـح، كأنها فتاة اقتعدت حافة نهر، ودلت فيه ساقيها..»[١].

فالطنطاوي حين يتصل بالطبيعة ليجسد لنا مشهدا من مشاهدها بخياله الخصب ينقل إلينا أحاسيسه ومشاعره بجمال الطبيعة وروعتها، ويقـف بنا ليشعرنا بدهشتـه وإعجابه بما أودع الله فـي هذا الكون من أسرار؛ ليوجهنا إلى عظمة الخالق لهذا الكون المصور لما فيه.

ولا ينسـى الطنطـاوي في تصويره الفنـي أن يلتقط من كل مشهد دلالاتـه ومعانيه الإسلامية التي تدل على تفاعله بالإسلام وتأثره به في فكره وخياله وتصويره.

من ذلك قوله: «والأنهار تجـري خلالها صغيرة وكبيرة، مستقيمة وملتويـة، ورائقة وعكرة، هادئة وهادرة، قد اختلفت طبعائها وغاياتها، فكأنها أصناف البشر؛ إذ يمشون على طريق الحياة»[٢].

(١) ذكريات علي الطنطاوي ٦/ ١٦٨، ١٦٩.

(٢) السابق، ٦/ ١٦٨.

وقوله: «... ورأينا النساء... يحجبن الرأس بخمار أبيض أو ملون، فلا يظهرن إلا ما أذن الله بإظهاره، وهو الوجه والكفان، وإن وجب سترهما إن كانت فتنة بهما»[١].

وقوله: «ثم انحدرنا كما صعدنا، وهذه سنة الحياة، ما علا عال إلا نزل، ولا طار طائر إلا هبط»[٢].

فهذه صور حية متحركة أحياها الطنطاوي بخياله الخصب؛ لترتسم في الأذهان بأبعادها الأدبية والتخيلية كما ارتسمت في نفسه؛ ولتوحي إلينا بما وقع في نفسه من أسرار الكون؛ حيث لفتنا إلى تغاير مظاهر الطبيعة وتلونها؛ ليشعرنا بعظمة الخالق، وطلاقة قدرته، وكمال إبداعه وحكمته في هذا الاختلاف والتلون والتنوع الذي تستقيم به الحياة، ويظهر جمالها ويقوي الإحساس بها.

تلك هي آية الله في كونه التي لفتنا الطنطاوي إليها من خلال صورته، كما لفتنا إليها الخالق سبحانه وتعالى في قوله جل وعلا: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾[٣].

---

(١) السابق، ٦/١٦٩.

(٢) السابق، ٦/١٦٩.

(٣) سورة فاطر الآيتان: ٢٧، ٢٨.

وقوله تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴾[١].

وفي الصورة الثانية يلفتنا الطنطاوي في أثناء وصفه للنساء إلى الحكم الفقهي في حجاب المرأة المسلمة، والذي يعكس عاطفته الإسلامية، ويعلن عن هويته الفقهية التي يميل فيها إلى التيسير بما فيه سعة من أقوال العلماء مع أخذ الحيطة والحذر.

حيث نراه هنا قد أخذ برأي ابن عباس رضي الله عنه ومن وافقه في تفسير المراد بقول الله تعالى ما ظهر منها في قوله تعالى: ﴿ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ﴾ بالوجه والكفين[٢]، ثم احتاط الطنطاوي بعد ذلك بقوله «وإن وجب سترهما إن كانت فتنة بهما»؛ ليقترب بذلك من الرأي الآخر، الذي يقول بوجوب ستر الوجه والكفين مطلقا، وهو رأي ابن مسعود رضي الله عنه ومن وافقه.

وفي الصورة الثالثة يستشف الطنطاوي من مشهد الصعود والهبوط... ما يوحيه من التعرف على حقيقة الحياة في تقلبها وتحولها؛ ليلفتنا إلى زيفها وخداعها فمن عرف حقيقة الدنيا لم يأمن لها ولم يفرح بها.

قال الله تعالى: ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ ﴾[٣].

---

(١) سورة الروم آية: ٢٢.

(٢) مختصر تفسير ابن كثير، محمد علي الصابوني ٢/٦٠٠، ط دار التراث العربي، القاهرة ١٤٠٧هـ.

(٣) سورة آل عمران من الآية: ١٤٠.

وقال الله تعالى: ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾[(١)].

فإذا انكشفت الدنيا للإنسان على هذا النحو وتيقن تلك الحقيقة، هانت عليه، فلم يبال بها أقبلت أم أدبرت، طالت أم قصرت، وعزت عليه الآخرة؛ لأنه يراها دار الأمان ودار السعادة والاطمئنان، التي تتوق النفوس المؤمنة إليها، وتشتاق إلى التنعم فيها.

وبهذا يتضح دور خيال الطنطاوي الإسلامي الذي قاده إلى استخدام الكلمات الوصفية الموحية ببراعة أفادت في جمال الأسلوب وقوته، تلك التي صورت مشاهد لافتة للنظر مثيرة للإعجاب، دالة على ما في الموصوف من إبداع عجيب، وإيحاء إسلامي جميل؛ ليفتح بذلك أمام القارئ آفاقا جديدة من التفكير والتخيل، أثرت معانيه، وقوت صوره، وأبانت عن عواطفه[(٢)].

ويأتي الخيال في تراجمه الذاتية الغيرية وسيلة لإبراز المعاني الإسلامية، وتجسيمها في صور حسية تغزو منافذ الإدراك؛ لتستقر في وجدان الإنسان وعقله عن اقتناع ويقين.

ويأتي - أيضاً - وسيلة لنقل وإسقاط الماضي بعبره ودروسه على الحاضر الذي مازال تتكرر فيه أخطاء الماضي وويلاته.

---

(١) سورة العنكبوت آية: ٦٤.

(٢) الأسلوب، د/أحمد الشايب، ص١٩٥، ١٩٦، ط٨، مكتبة النهضة المصرية ١٤١١هـ، ١٩٩١م.

obeikandi.com

وبجانب أن هذا الخيال يكشف عن وجهة الطنطاوي الإسلامية، ويبرز عواطفه تجاه القيم أو غيرها، فإنه يضفي على الأحداث والأخبار الحياة، ويبعث فيها الحركة والجدة، فيشعر المتلقي لها أنه أمام شخصية حية بكل أبعادها - تناولها كاتب يقظ - لا أمام ركام من الأخبار الجامدة والأحداث الميتة.

فمن المواقف التي يتجلى فيها خيال الطنطاوي لإبراز القيم، والإشادة بالبطولة والمثل.. ذلك المشهد الذي صور فيه موقف أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من بعث جيش أسامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في الوقت الذي ثار فيه المرتدون، وحار فيه الصحابة - رضوان الله عليهم - أجمعون. فقال:

«قلت وهذا فتح في الإسلام عظيم... فتحه الله على أبي بكر؛ ليكون معجزة من معجزات النبوة، أمده الله أبا بكر بقوة من عنده، فاستطاع أن يقف وحده أمام هذه الجزيرة الهائجة المائجة التي لم تخضع مذ بسط الله أرضها لمخلوق، والتي أعجزت الفاتحين منذ أول الدنيا، وأطمعتهم حتى إذا طمعوا بها أطعمتهم رمالها المحرقة، فلبثوا فيها إلى الأبد، والتي لم تحن رأسها إلا لمحمد بن عبد الله ﷺ.

وقف وحده أمام هذه القبائل المرتدة... وقد انفجرت كما ينفجر البركان، وأخذت عليه كل سبيل، وهتفت به متمردة ثائرة تقول:

أطعنا رسول الله إذ كان بيننا فيا لعباد الله ما لأبي بكر

أيورثها بكرا إذا مات بعده؟ وتلك لعمر الله قاصمة الظهر

وحار الصحابة وجزعوا، وقالوا: يا أبا بكر! لا ترسل أسامة بجيشه إلى الشام، فإن معه وجوه الناس وشجعانهم، فاستعن بهم على قتال هؤلاء الذين نقضوا عرى الإسلام، أطفئ به هذه النار التي اندلع لسانها من كل جانب وعمت وانتشرت، ثبت به هذه الأرض التي زلزلت زلزالها واضطربت ومادت... وما نقدر على شيء إذا أخلينا المدينة من هذا الجيش، وما لنا بقتال الروم من حاجة.

وواجه أبو بكر الخطر برأسه، واستقبل التبعة العظيمة، وأنصت الدهر وأمسك كتاب التاريخ بأقلامهم، وعلقوا أنفاسهم ليسمعوا جواب أبي بكر، وكان المستقبل متوقفا على جوابه! فما كان إلا أن قال: ثكلتكم أمهاتكم! أنا أحل لواء عقده رسول الله ﷺ!؟ والله لو جرت السباع برجلي ما فعلت ذلك.

ثم أمضى الجيش وزوده بوصايا ما عرفتها الإنسانية من قبل، كأنما نظر بنور الله إلى المستقبل البعيد الذي تتقدم فيه الإنسانية حتى تعرف قواعد الحرب وتسعى لتطبيقها.

ولم يكن إرسال الجيش مغامرة من أبي بكر كما قال من قال!

فالمغامرة هي الإقدام على أمر مشكوك في نجاحه، وليس عند أبي بكر شك في نجاح شيء فعله رسول الله ﷺ.

ذلك سر من أسرار الإيمان لا يعرفه إلا من ذاقه!

لا يعرف الشوق إلا من يكابده ... ولا الصبابة إلا من يعانيها

obeikandi.com

واشتد البلاء، وانتفضت الأرض وزلزلت، وتجرأ المرتدون من العرب على مهاجمة المدينة، وازداد الصحابة حيرة وجزعا حتى لقد حار عمر ـ القوي ـ وجزع وقال: يا خليفة رسول الله! تألف الناس وارفق بهم... ولكن نفس أبي بكر ـ معجزة الله في النفوس ـ لم تعرف الحيرة ولا الجزع. فقال أبو بكر:

ماذا يا عمر؟ رجوت نصرتك وجئتني بخذلانك! أجبار في الجاهلية وخوار في الإسلام!؟ لقد تم الدين وانقطع الوحي، أو ينقص وأنا حي؟.

ثم قال الكلمة الحاسمة في التاريخ الإنساني.

الكلمة التي أنشأت الحضارة الإسلامية، الكلمة التي بنت دولا وهدت دولا، وثبت الله بها الإسلام، فكانت من آيات الله المبهرة على نبوة محمد ﷺ ومر عليها إلى اليوم ألف وثلاثمائة وواحد وأربعون عاما، ولم تفقد بعد روعتها، بل هي جديدة حية في نفس كل مسلم كأنما نطق بها الصديق الأعظم أمس! قال: والله لو منعوني عقالا كانوا يؤدونه إلى رسول الله لقاتلتهم عليه بالسيف، ولو تخليتم عني لجاهدتهم وحدي.

ثم خرج إليهم بنفسه، ورتب الجيوش لقتالهم، فلم تكن إلا هنيات حتى خضعت الجزيرة المرة الثانية في التاريخ، ثم أخضعت ـ إذ خضعت للحق ـ العالم.

أما إني لست أعرف فيما قرأت من كتب التاريخ عظيما من العظماء في أمة من الأمم وقف مثل موقف أبي بكر، وقد يقف رجل

obeikandi.com

أمام أمة يقاتلها وتقاتله باللسان والقلم، ثم لا يبالي أظفرت به أم ظفر بها، وقد يقدم فارس شجاع على جيش كبير فيقاتل مستميتا ثم يقتل ولا يصنع شيئا، أما أن يقف رجل واحد أمام أمة ثائرة على مبدأ من المبادئ تدافع عن عقيدة استقرت في نفوسها، وخالطت دمها ولحمها، وجردت للدفاع عنها سيوفها وألسنتها، وباعت في سبيلها حياتها، ثم تكون له الغلبة على أجسامها حتى تخضع له، وعلى قلوبها حتى ترجع عن عقيدتها... فأمر لم يقع - بعد الأنبياء والمرسلين - إلا لأبي بكر.

وقد يكون في أمة رجال أشداء ذوو صلابة وعزم، ومضاء وحزم، يقدمون على العظائم، ويصمدون للشدائد، ولكني لا أعرف عظيما من العظماء في أمة من الأمم ينازل وحده أمة، ويغلبها ويقوى عليها، وينزل به ما لو نزل بالجبال الراسيات لهاضها، فلا ينال منه ولا يميله، حتى إذا زالت الشدة، وأصبح سيد الشام والعراق غدا فرعى غنم أهله، وحلب للحي أغنامهم، وقال للجارية التي ظنت أنه لن يفعل: بلى لعمري لأحلبنها لكم، وإني لأرجو أن لا يغيرني ما دخلت فيه.

رحمك الله يا أبا بكر ورضي عنك! فإنك عظيم من العظماء، وإنما العظيم عظيم في الناس»[1].

فهذه الوقفة التحليلية من الطنطاوي لموقف أبي بكر رضي الله عنه من المرتدين تحمل في ثناياها قيما عظيمة وتجسد معاني جليلة، لعل من

---

(١) أبو بكر الصديق، علي الطنطاوي، ص١٨١، ١٨٣.

أبرزهـا التأكيد على قوة النفس بإيمـان القلب، تلك القوة التي لا تخضع لحسابات العقل، ولا تأبه بمخاطر الدنيا في سبيل إقامة الدين والعدل.

وقـد جسد الطنطاوي هـذا المعنى في صورة أدبيـة وتخيلية حية سمـت في سماء البيان؛ لتجسد تلك القيمة، وتبرز قوة ومضاء العزيمة فـي مواقف أبي بكر رضي الله عنه النابعة من عمـق الإيمان وكمال الامتثال لله، ولرسوله صلى الله عليه وسلم.

كمـا ظهر من خلال عرض الطنطاوي لهـذا الموقف وتعليقه عليه شـدة انفعـال نفسه به وقـوة عاطفته المحبـة للإسـلام ورجاله، هذا الإحسـاس الـذي نقله إلينا ومـلأ نفوسنا به، والـذي كان مبعثه فضلاً عن جمال الصورة، صدق الانفعال وقوة الإحساس، والإيمان بما يقول، والذي عبر عنه الأستاذ/ محمد سعيد المولوي بقوله: «على أن أكثر ما يثيـر الانتباه في عرض الصورة الفنية عند الطنطاوي أنه يشرك نفسه فـي الصورة ويجعلها جـزءا منه، وهو بذلك يختصـر مسافات التأثير فلا ينتظر أن تبلغ الصورة غايتها، بل يطرح عواطفه ومشاعره وأفكاره ضمنهـا، فيقدم الغايـة وردة بين الورود، ولكنها تتميـز عما سواها في أنهـا متفتحة طيبـة الأريج، فحين يدخـل الطنطاوي عواطفـه يستثير عواطفنا، فنحس إحساسه، ونشعر شعوره فلا ننتهي من قراءة الصورة حتى تكون قد بلغت غايتها التي صاغها المؤلف من أجلها»[١].

---

(١) الأدب الإسلامـي «الصورة الأدبية الفنية في أدب علـي الطنطاوي» ص٤٨، العددان (٣٤-٣٥) ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م.

والطنطاوي بخياله الإسلامي الوثاب يجسد المعاني الإسلامية، ويبرز الأحاسيس الداخلية لشخصياته، فتبدو من خلال عرضه بكل ملامحها وأبعادها النفسية والجسدية والأخلاقية واضحة، وكأننا نطل عليها من قريب؛ لنراها في بيئتها وعصرها بأقوالها وأفعالها وحركاتها وسكناتها دون حجب أو ستار.

من ذلك، هذا المشهد الناطق بعظمة عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في انتظاره خبر الجيش في معركته مع الفرس، والمجسد لقلقه وإحساسه بالمسؤولية، وتواضعه وورعه. يقول الطنطاوي:

«أرسل عمر الجيش مع سعد، وأقام ينتظر خبره على أحر من الجمر، وأحد من السيف، فأبطأ عليه خبر الفتح، وجزع عمر القوي واضطرب، وأضحى كالأب المدله يستخبر عن ولده، والأم تسأل عن وحيدها، فكان يخرج كل صباح إلى أطراف الحرة، ثم يوغل في الصحراء، يرقب الأفق، عله يرى رسولا فيعلم منه علم القوم، وينتظر إلى أن تلتهب الأرض، ويتسعر النهار، فيعود إلى المدينة ينظر الصباح الآتي؛ ليخرج فيأخذ خبرًا، أو يرى مخبرا، لم يكن يطيق البقاء وجيوش المسلمين تغامر أعظم مغامرة حربية، تهاجم إمبراطورية الفرس؛ لتفتح بلادها، وما ذلك بالشيء القليل، ولا هو بالأمر السهل، إنها تحارب أقوى قوة عسكرية وأعز حكومة وأشدها، فهل أظفرها الله بها، أم نالها منها سوء!؟ هذا ما كان يفكر فيه عمر ولا يقر له قرار حتى يعلمه.

وبينما كان عمر على شاطئ الصحراء ينتظر كما ينتظر كل يوم، إذا هو يرى راكبا يطلع عليه من الأفق البعيد من جهة العراق، أهو البشير الذي يحمل نبأ الفتح، أم هو الناعي الذي يجيء بخبر الهزيمة؟! لم يتمالك عمر أن يقف مكانه، فسعى إليه، حتى إذا بلغه سأله عن الخبر، فقال: هزم اللّٰه العدو. فأشرق وجه عمر رضي الله عنه وخالط السرور حبة قلبه، فجعل يسير إلى جانبه يسأله وهو يخب، والرجل راكب، يجيبه جوابا مقتضبا، لا يحفل به، ولا يأبه له، وما له ولهذا السائل! إنما جاء البشير ليبشر أمير المؤمنين!.

فلما دخلا المدينة، ورأى الرجل الناس يسلمون على عمر ويهنئونه، انخلع قلبه من الخوف، ونزل يعتذر إلى أمير المؤمنين، فلا يطاوعه لسانه على الكلام، يرتقب أن يأمر به عمر، فيضرب أو يعاقب على ما أتعبه وأعرض عنه، وإذا بعمر العظيم يطمئنه ويؤنسه، ويقول له: لا عليك يا أخي!»[١].

فبهذا الخيال المصور والعرض المشرق ظهرت العواطف الداخلية لعمر رضي الله عنه ممتزجة بصورته الخارجية الحسية القلقة المضطربة التي دلت على مدى انشغاله برعيته، وحرصه على جنوده، وحبه لهم، ورحمته بهم.

كما أبان عن عظمة عمر رضي الله عنه في تواضعه الواضح و«بساطته» التي جعلت هذا الجندي لا يعرفه من الرجل العامي وهو خليفة المسلمين.

---

(١) قصة حياة عمر، علي الطنطاوي، ص٣٣، ٣٤.

كما أبرز هذا التصوير ما يعتمل في صدر هذا الجندي من مخاوف وهلع وترقب لوقوع العقاب فأمسك لسانه عن الاعتذار ولم يطاوعه على الكلام.

كما جسدت هذه الصورة رفق عمر رضي الله عنه وسعة صدره في العفو عن أصحاب الأعذار، بما ينم عن ورع جم وخلق كريم.

وبذلك يتضح دور الخيال في تكوين الصورة التاريخية عند الطنطاوي وتوجهه الإسلامي فيه، ذلك التوجه الذي لا يجنح به بعيدا عن الحقيقة، وإنما يستخدمه بمقدار ما يحقق المقصود من بيان الانفعالات، وإظهار العواطف، وتوضيح الأبعاد والمسافات الوجدانية والسلوكية في الأحداث، والتي تدرك من خلال تراكيب النصوص وسياقها.

وبالإضافة إلى ذلك فإن الطنطاوي قد استخدم الخيال في تراجمه وسيلة إسلامية أسهمت في عرض الأخبار بعد تنسيقها وترابطها عرضا أدبيا، جسد المعاني وأبرز القيم في توازن لا يخفي صدق الحقيقة التاريخية ولا يغفل جمال الصورة الأدبية.

فالخبر حين نقرؤه في كتب التاريخ نمر عليه مرورًا عابرًا، لا نلتفت إلى ما فيه من عظمة، ولا ما يحتويه من جمال، ولا ما يدل عليه من بطولة، حتى إذا ما تعامل معه كاتب يقظ بخياله الخصب كالطنطاوي ملأه عظمة، فأبصرنا ما فيه من قيم، ورأينا ما يحتويه من بطولة، وتبينا دور الخيال والوجدان الإسلامي في إحياء الشعور وتنبيه النفس إلى العظمة والقيم، والجمال والإبداع.

obeikandi.com

يقول الطنطاوي مصورًا حدث الهجرة النبوية:

«نحن الآن في مكة والحرب قائمة بين التوحيد والشرك، بين الإصلاح والجمود، بين محمد وقريش، وبذلت قريش مالها، وقدمت دنياها في شيء واحد: هو أن تمنع هذا الخير عن الدنيا.

قال محمد: افتحوا لي الطريق لأخرج إلى الأرض الفضاء، فأنصر الضعيف، وأنجد المظلوم وأعيد للبشرية كرامتها، وللعقل سلطانه.

قالوا: لا!.

قال: افسحوا لرسالتي لتنطلق في الزمان، فإنها ليست لبلد واحد، ولا ليوم واحد.

قالوا: لا، ولكن تعال نملكك إن شئت علينا، ونمنحك أموالنا ونجعلك سيد هذا البلد كله.

وسخر التاريخ من قريش... يدعوهم محمد ليعطيهم سيادة الأرض، وزعامة الدنيا، ويضع في أيديهم مفاتيح الكنوز: كنوز المال، وكنوز العلم، ويمنحهم ما يملك كسرى وقيصر، وهم يدعونه ليعطوه إمارة هذه القرية النائمة بين جبلين وراء رمال الصحراء.

وانطلقوا يؤذونه ويتوعدونه لعل الترهيب يفعل فيه ما لم يفعل الترغيب. ورموا في طريقه الشوك وهو ماش، وألقوا عليه أحشاء الناقة وهو ساجد، ورموه في الطائف بالحجارة، وأسالوا دمه وهزئوا به، وسلطوا عليه سفهاءهم.

opeikandi.com

فلـم يثر هذا كلـه غضبه، ولكن أثار إشفاقـه.. إشفاق الكبير على الأطفـال المؤذيـن، والعاقل علـى المجانين، وكان جوابـه: «اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون»[١].

فهـذه هي الفنية فـي معالجة التاريخ، والبراعة فـي تناوله بخيال يحرك الحـدث، ويصب فيه الحيـاة، فيبدو ماثلاً أمامنـا نشاهده في حركته وسيره بأبعاده ودروسه، ونتائجه ومزاياه؛ حيث نقلنا الطنطاوي علـى جناح الخيال إلى مكة؛ لنشاهد عن قـرب الحرب القائمة هناك؛ لأنهـا ليست حربـا عابرة كالتي كانت تقوم بيـن الحين والآخر، بل هي حرب عظيمة بين التوحيد والشرك، بين الصلاح والجمود، بين محمد ﷺ وقريش، معركـة بيـن الحق والباطـل، استخدم فيها أهـل الباطل سلاحيـن عظيميـن لم يخطئا أبـدا: سـلاح الترغيب بالمـال والملك والسلطان، وسلاح الترهيب بالإيذاء والتسفيه والرمي بالحجارة.

ومـع ذلـك فشلت محاولات قريشـ في ثني النبـي ﷺ عن دعوته، واحتـارت قريش في ثبات النبي ﷺ وحـق لها أن تحتار؛ لأنها ما فهمت طبيعة دعوته، ولا غاية رسالته، ولا نبل هدفه إلا متأخرًا بعدما انتشرت دعوته في الآفاق، واجتاحت أطراف العالم تبدد ظلامه، وتقوّم ميزانه، وترفع أركانه بعدما قد هوت تحت أقدام الموحدين.

حينها أدركت قريش سفهها، وأبصرت حمقها، فسخرت من نفسها قبل أن يسخر منها التاريخ الذي ضحك من جهالتها وقسوتها بقدر ما تعجب

---

(١) رجال من التاريخ، علي الطنطاوي ١/ ١٥، ١٦.

من حلم محمد ﷺ وصفحه حين قابل إساءتها بالإحسان، وإيذاءها بالدعاء لهم والشفقة عليهم ملتمسا لهم العذر «بأنهم لا يعلمون».

وقد اختار الطنطاوي لبعث صورته التاريخية ألفاظا مثيرة للخيال، وعبارات موحية ومؤثرة أسهمت في اكتمال أبعاد الصورة وتعميق الإحساس بها.

يقول: «وبذلت قريش قوتها، وبذلت قريش مالها، وقدمت دنياها كلها في شيء واحد! هو أن تمنع هذا الخير عن الدنيا»[١].

فهذه العبارات تعكس في وضوح الحالة النفسية لقريش، من الرغبة العمياء التي تدفعها للسعي الحثيث في منع هذه الدعوة، كما توحي بمدى الخوف المسيطر على نفوسها، وشدة الفزع والقلق من انتشار هذه الدعوة ونجاحها.

كما أبانت عن سفاهة قريش ونظرتها الضيقة في محاربة الخير والهدى.

وقد جسدت هذه الصورة قيما إسلامية عظيمة، تمثلت في اندحار أهل الباطل وضعفهم إذا ثبت أهل الحق، وأظهرت عظمة النبي ﷺ في إخلاصه لله وثباته على دعوته وإعراضه عن زينة الدنيا وشهوات الحياة، كما أبانت عن جانب هام من أخلاق الداعية ممثلا عمليا في رفق النبي ﷺ وعفوه وإصراره وصبره.

---

(١) رجال من التاريخ. علي الطنطاوي ١/ ١٥.

obeikandi.com

كمـا كشفت هذه الصورة عن طبيعة المعارك بين أهل الحق وأهل الباطل، وأسباب الانتصار، وأساليب الإغراء..

كمـا يبـدو دور الخيال الإسلامـي الفاعل في تعليـلات الطنطاوي واستلهاماتـه مـن معطيات الأحـداث ما يتلاءم مـع الشخصية ويضيء الحـدث، كاستنباطـه للأسباب التـي دعت النبي ﷺ إلـى الهجرة بعد أصحابـه مختفيا عن أعيـن المشركين بما يتوافق مـع شخصيته ﷺ، وينبئ عن كمال حكمته وعظمته، قال:

«... تأخـر محمد كما يتأخـر الربان الشريف علـى ظهر الباخرة الميؤوس منها، فلا ينزل حتى ينزل الركاب جميعا، وكما يتأخر الراعي الأمين عند المفازة فلا يجوز حتى يجوز القطيع كله.

تأخر يحمي أتباعه، ويستقبل بصدره الخطر»[١].

هـذا عن سبب تأخر النبي ﷺ في هجرته، أما عن سبب اختفائه، فيقول:

«وهاجـر مختفيا مـع صفيه وخليلـه شيخ المسلمين أبـي بكر، لم يختف من ضعف ولا جبن، ولكنه كان كالقائد المسافر؛ ليدير المعركة الكبرى، فهل يظهر نفسه ويقف على الطريق ليحارب فصيلة لحقت به، فيظفر عليها ويعطل المعركة الكبرى؟

(١) رجال من التاريخ، علي الطنطاوي ١/١٧.

إنهـا تنتظر محمدا معـارك أكبر، تنتظره بـدر، والفتح، وهوازن، والقادسيـة، واليرموك، وجبـل طارق، ومعارك الفتـح الإسلامي، التي امتدت من بعد.. سلسلة مظفرة خيّرة، نثرت شهداء الحق في كل أرض، ونصبت راية العدل على كل جبل، وأضاءت بالإسلام القلوب والبلاد في كل مـكان، وتنتظره المعركة مع الجهل والفقر والظلم والفسوق، وسائر الأوضار الخلقية التي جاء ليطهر المجتمع البشري من آثارها»[١].

فهذه التعليلات نقلت إلينا ـ عبر الخيال المصور ـ إحساس الطنطاوي العميق ووجهته الإسلامية الصادقـة في تناول التاريخ ودلالات أحداثه بما يتناسب مع شخصياته، ويتلاءم مع أخلاقها وتاريخها الثابت.

(١) السابق ١/ ٣١.

obeikandi.com

المبحث الرابع

خيال الطنطاوي في مقالاته

الخيال في مقالات الطنطاوي:

يلاحظ أن خيال الطنطاوي في مقالاته خيال مطلق الحركة والنشاط، وهو في انطلاقه هذا ملتزم بقيم الإسلام ومساره، حيث يتكئ فيه على أصول دينية، ويصدر عن ثقافة إسلامية تعصمه من شطحات الخيال المبهمة، وسقطات الفكر والأهواء المضللة.

فالخيال في مقالات الطنطاوي وسيلة إسلامية، يدفع بها النفوس للتعرف على أسرار الكون والنفس والحياة، دون تمويه أو تلفيق.

يقول الطنطاوي من مقال «إلى السلاح يا عرب»: «... ألا يكون أحدكم مرخى الأعصاب، خامل الجسد، قد خدره النعاس حتى ما يقدر أن يفتح عينيه، فيعدو عليه عاد، أو يطرقه لص، أو يحقره إنسان فيشعل الغضب في دمه نارا، أو يشد من أعصابه أوتارا، فيثب يريد أن يقتحم الجدار أو يخوض النار!؟

ألا يكون أحدكم تعبان كسلان يجر قدميه من الونى جراً، يظن أنه سيسقط من كلاله على الأرض، فيلحقه عدو فاجر أو يطارده وحش

كاسـر، فـإذا هو ينطلق انطلاقـة القذيفة من فم المدفـع، ويعدو عدو الغزال المروع!؟

هـذه - يـا أيها النـاس - القـوة المدخرة فـي أعصـاب الإنسان يظهرهـا الأمل، ويبديها الغضب، ويبعثها الخوف. وفي الأمم قوة كهذه القـوة، وما الأمـة إلا أفراد الأمة، أنـا وأنت وهم وهن! أفـلا تحس إذا غضبـت أو فرحـت أو جزعت أن نبضك يسـرع، وقلبك يخفق، ووجهك يصفر ويحمر، وجسمك كله يتبدل ويتغير!؟ فكذلك الأمم.. تكون الأمة نائمـة آمنـة قد غلب عليها الخمـول، وشملها الارتخاء، فمـا هي إلا أن يبعـث الله لها القائد العبقري يصرخ فيها ينذرهـا خطراً، أو يحذرها عـدواً، أو يعدها نصـراً مؤزراً.. حتى تثب كما يثـب الجندي المستريح إلى سلاحه، فتعمل العجائـب، وتصنع المعجزات، وتدع التاريخ حائراً من فعلها مشدوها...»(١).

فهـذه صورة كليـة أبرزت الطاقـة الكامنة في النفـس الإنسانية، ومثيراتها الخارجية، التي تحولها إلى طاقة هائلة، لو وجدت من يحسن توجيهها، لصنع بها العجائب وأتى بما يدهش التاريخ.

هـذا المعنى نقله إلينا عبر الخيال المصـور، حيث حاول في هذه الصور حمل المتلقي علـى مشاركته إحساسه، بجعله يستحضر معه ما يشعـر به في نفسه من صـور مثلها له بأبعادهـا الشكلية والحركية من خـلال ألفـاظ موحية وعبارات مصورة، لا تكـون إلا من وحي الموهبة،

---

(١) هتاف المجد. علي الطنطاوي، ص٨٧.

وإلهام الطبع، حتى ليخيل إلينا أن الألفاظ والعبارات استحالت مشهداً حياً لشخص واني الجسم، منكمش الهيئة، أنهكه التعب وبلغ به الإعياء والكسل، ما جعلنا نشفق عليه حتى إذا اطمأننا لتلك الصورة رأيناه مرة واحدة، وفجأة يعدو مسرعاً في خفة وفزع وهمة ونشاط، وكأنه شخص آخر، فما الذي أثار هذه القوة من مكمنها وبعث هذا النشاط فيه!؟ إنه داعي الخوف أو الغضب من شخص أو عدو أو حريق.

فهذه الصورة استهدف بها الطنطاوي تعرّف الإنسان على نفسه، وتنبيهه إلى قدرته الكامنة التي لو استطاع بعثها لحقق بها ما يريد.

ويلاحظ - أيضاً - سيطرة التوجه الإسلامي على خيال الطنطاوي، من خلال ألفاظه وصوره التي استقاها واستمدها من القرآن الكريم وثقافته الإسلامية وبيئته العربية.

يقول في مقاله «نهر دمشق» مصوراً عواطفه تجاه هذا النهر الذي امتلأت نفسه بعظمته:

«بردى» سطر من الحكمة الإلهية، خطته يد الله على صفحة هذا الكون؛ ليقرأ فيه الناس ببصائرهم لا بأبصارهم فلسفة الحياة والموت، وروعة الماضي والمستقبل، واختصت به الأمة العربية، فجمعت فيه تاريخها الجليل ببلاغة علوية متفجرة.

والله الذي جعل الآية المعجزة في القرآن هو الذي جعلها في الأكوان. والله الذي أعجز ملوك القول، وأمراء البلاغة، بسور وكلمات وحروف، هو الذي أعجز قادة العقل، وأئمة الفلسفة، بسور من بحار وأنهار وكهوف.

وما «بردى» إلا سورة من قرآن الكون، وليس إعجازه في أنه يجري، ولكن إعجازه في أنه ينطق، وأن في كل شبر منه تاريخ حقبة من العصور، وتحت كل شبر أنقاض أمة من الأمم، أمة ولدت في حِجره، ورضعت من لبانه، وحبت بين يديه، ثم قويت واشتدت، وبنت فأعلت، وفتحت فأوغلت، ثم دخلها الغرور، وحسبت أنها شاركت الله في ملكه، فظلمت وعتت واستكبرت، فبعث الله عليها نسمة واحدة من وادي العدم فإذا هذه العظمة وهذا الجبروت ذكرى ضئيلة في نفس بردى، وأنقاض هينة في أعماقه، وصفحة أو صفحتان في كتاب التاريخ، وإذا بأمة أخرى تخلفها في أرضها، وترثها مالها، ثم يكون سبيلُها سبيلَها!

ولقد قام الفينيقيون على أنقاض الحثيين، والكنعانيون بعد الفينيقيين، والفرس بعد الكنعانيين، واليونان بعد الفارسيين، والروم بعد اليونانيين، والغساسنة بعد الرومانيين، والمسلمون بعد الغسّانيين. ثم قام العباسيون على أثر الأمويين. ثم قام صلاح الدين، ثم جاء الترك بعد السلجوقيين. ثم جاء فيصل بن الحسين، ثم جاءت جيوش الفرنسيين!.

هكذا يدور الفلك في السماء، ويدور السلطان في الأرض، فينشأ من القبر الحياة، ويغطي على الحياة القبر، والسلسة لا تنتهي، والناس لا يعتبرون، وبردى يبتسم ساخرا من غرور الإنسان، ضاحكا من جهالته، يحسب نفسه شيئا، فيصارع الكون، ويتطاول بعقله إلى الله،

وما هو من الكون إلا ذرة من الرمل ضائعة في الصحراء، وما عمره إلا ثانية واحدة من عمر «بردى ...»(١).

بهذا الجمال في التصوير، والسلاسة في التعبير ينقل إلينا الطنطاوي أحاسيسه ومشاعره الفياضة المتولدة عن رؤيته لهذا النهر العظيم الذي رأى قدرة اللّه فيه، ولفتنا إلى عظمة اللّه في إيجاده، مستلهما من تاريخه الدروس والعبر التي توافق تصوره الإسلامي عن قوة الخالق وعظمته، وضعف الإنسان وغروره.

وقد أضفت هذه الألفاظ القرآنية والمعاني الإسلامية على صوره جمالا وجلالاً، وألبستها ثوبا إيمانيا رقراقا، دل على مدى استجابة الطنطاوي في وجدانه، وتأثره في تصويره وخياله بالإسلام، وثقافته العظيمة وكتابه المعجز.

ويلاحظ أن الطنطاوي قد وظف الخيال في مقالاته وسيلة إسلامية كاشفة عما في النفوس، وموصلة إلى الغرض المقصود، بتعبير عفيف له إيحاء دقيق، يحقق الغاية منه في سمو وعفة.

فهو حين يكلم الفتاة عن الرجل ليكشف لها عن حقيقته، ويعرّيه من زخارفه، حتى لا تنخدع المرأة بكلامه أو سلوكه عن هدفه وغايته منها. يقول:

---

(١) دمشق... علي الطنطاوي، ص٢٧، ٢٨.

obeikandi.com

«... إي والله! أحلف لك مرة ثانية لا تصدقي ما يقوله لك بعض الرجال من أنهم لا يرون في البنت إلا خلقها وأدبها، وأنهم يكلمونها كلام الرفيق، ويودونها ود الصديق!. كذب والله! ولو سمعتِ أحاديث الشباب في خلوتهم لسمعت مهولاً مرعباً، وما يبسم لك الشباب بسمة، ولا يلين لك كلمة، ولا يقدم لك خدمة إلا وهي عنده تمهيد لما يريد، أو هي على الأقل إيهام لنفسه أنها تمهيد...»[١].

فهذه العبارات (لسمعت مهولا مرعبا) و(تمهيد لما يريد) بما تثيره في الخيال، وتحركه في الأذهان تسهم في كشف حقيقة نفس الشاب تجاه الفتاة، وتوضح غايته منها، ورغبته فيها بأسلوب عفيف مثير يؤدي المقصود، ويفي بالغرض دون إسفاف أو تدن؛ لتحذر بذلك الفتاة؛ ولتنتبه لما يمكن أن تقع فيه، وقد تكشفت لها الحقيقة.

وتبدو إسلامية الخيال في مقالات الطنطاوي بجعله وسيلة فنية للتعرف على الأبعاد الحسية والعلاقات النفسية التي تكتمل بها الصورة المعنوية أو المجردة؛ لتبدو في إطارها الإسلامي الذي يريد به حمل النفس على كمال الإحساس بقبح القبيح وحسن الحسن. يقول الطنطاوي في وصف شاب مخنث:

«كان شاباً متأنثاً قد أصيب بمرض التجمل.. فلم يكن يجيء إلى المدرسة إلا متزيناً مستعداً استعداد عروس ليوم زفافه، قد صفف

---

(١) من مقالة «يا ابنتي» صور وخواطر، ص١٥٠.

obeikandi.com

شعـره ودهنه وعطـره (ولبـده)[١] و(عقربه)[٢] علـى صدغيه، وجمل وجهه، وصقله، وصنع به ما لست أدري!

وكان إذا نظـر غضـ الطرف من الحياء، ودانـى بين جفونه، وإذا تكلـم تكلم بصوت حالم ليـن كأن ألفاظه تقول شيئـاً، ولهجته ونبراته تقول شيئاً آخر! تقول: إن رجولة صاحبي رجولة مزورة!

وإذا مشـى تثنـى وتخلع وتكسـر، وماج جسمه موجانـاً، وذهب كل عضو منه في ناحية، كأن جسمه متفكك قد تقطعت أوصاله، وفصمت عراه، وانحلت لوالبه...»[٣].

فهـذه الألفـاظ بدلالاتهـا وإيحاءاتهـا نقلـت إلينا صـورة كاملة، وإحساساً واضحاً بتأنث هذا الشاب وتخنثه القبيح المنفِّر.

هذا الإحساس البغيض المتولد من وحي الصورة يتغير إلى النقيض إذا تغير الوصف والقصد. يقول الطنطاوي:

«... ومـر شهـران، ثم رأيـت في مكانه طالبا جديـداً من الطلاب الذيـن يتدربون على الجندية يلبس الثـوب العسكري وعلى وجهه طابع الرجولـة: له شاربـان كاملان، وأثـر اللحية ظاهر علـى خديه، والقوة والصرامـة باديتان فـي عينيه وملامحه، وكان قـوي النظرات صعاقاً،

---

(١) لبـد شعـره أزلقـه بشيء لـزج أو صمغ حتى صار كاللبـد (لسان العرب ج ٥، ص٣٩٨٥، ط دار المعارف).

(٢) عقرب: شيء معقرب: معوج (السابق، ص٣٠٣٩).

(٣) بغداد مشاهدات وذكريات. علي الطنطاوي ص٩٤، ٩٥.

جهيـر الصـوت، ذكيا مقبلا علـى الدرس، فطنـاً ألمعيـاً، وكان سريع الحركة، جم النشاط، إذا دعوته أقبل يسير بخطى موزونة، يطأ الأرض وطأً شديداً، وقد نصب قامته، ورفع رأسه، فإذا قام بين يدي قرع رجلاً برجـل، ثم رفع يده بالسلام لا كما يرفعها مثلـي أو مثلك، بل كما يرفع يـده الجندي بالسيف يستله من قرابـه! وإذا كلمته أجاب بجرأة وأدب، وكنــت أراه في ساحة المدرسة، فأراه على اجتهاده، وإقباله على العلم، قوياً نشيطاً يصارع الطلاب ويباطحهم، فإذا تمكن منهم وعلا عليهم، عفا عنهم، وأبقى عليهـم، فكنت أعجب من قوته ونبله، وعلمه وفضله، وأكبر فيه هذه الصفات.

ثـم إننـي أحببت أن أشجعـه وأضرب منه للطـلاب مثلاً، فتكلمت وأثنيت، وقلت: كم بين هذا وذاك من فرق!؟

فصاح الطلاب: ومن هذا ومن ذاك؟ إنهما شخص واحد!

قلـت: ويحكم! فأي معجزة هذه التي بدلتـه شخصاً آخر، وأنشأته إنشاء جديدا!؟

قالوا: يا أستاذ... إنه تدرب على الفتوّة...[١].

فالطنطـاوي بقدر ما قبح طريقة الشاب وسلوكه في صورته الأولى ونفرنـا منها، حببه إلينا في صورتـه الثانية، وقد تغيرت طريقة حياته،

(١) بغداد..مشاهدات وذكريات، علي الطنطاوي، ص٩٤، ٩٥.

واستقام سلوكه وخلقه بعد ما تدرب على الفتوة! حيث قد رسمت هذه الألفاظ المثيرة، والعبارات الموحية لوحة كاملة ضخمة، حركت الخيال لرصدها كاملة بأبعادها، وحركت الوجدان للإحساس بها، والانفعال بمعطياتها على نحو ما يريد الكاتب.

وقد رأينا بوضوح كيف وظّف الطنطاوي التصوير والتخييل هنا وسيلة قوية في كشف مزايا «الفتوة» وما أكسبته للشباب من صفات وخصال عظيمة، بما يوضح اتجاهه في تمجيد الفضائل وإبرازها، وتشويه الرذائل وتضخيمها بما يلفت الانتباه إليها وينفّر منها.

ويقول الطنطاوي مصوراً شقاء الفقير في مصر، ومعاناته في الحياة، ليعطّف القلوب عليه ويشعر الأغنياء به، من مقالة «تسعة قروش»:

«.. يحلق مثل (الناس) ولكنه يقعد على الأرض على رصيف الشارع، وبيده مرآة مكسورة يرى فيها وجهه، والصابون القذر يغطيه، وموسى الحلاق المغلولة تجري فيه، والدم ينبثق من نواحيه، ثم تمر على هذا الوجه البشري ممسحة لا ترضونها أنتم والله لمسح أحذيتكم!.

ويركبون مثلما يركب الناس ولكن على «عربات الكارّو» العشرة على متر مربع من الخشب، محمولين على دولابين من الحديد، يسحبه حيوان هزيل، والعربة ترتج بهم، فترقص معدهم وتزلزل أمعاءهم، ثم لا تصل بهم إلى نهاية الميل الواحد إلا بعد ساعة، ولهم قهوات.. ولكن قهواتهم اصطبلات فيها ركائز تسمى مناضد.

obeikandi.com

أمامهم عيدان تدعى كراسي، ولهم مطاعم، ولكن مطاعمهم يقدم فيها المرض في طباق قذرة...»[١].

فهذه الصورة أبرزت المعنى الذهني المجرد لشقاء الفقير ومعاناته في صورة حسية واضحة، جسدها الخيال فبدت للعين، وأدركها الحس وانفعل بها الوجدان، وتألم بها الإحساس اليقظ في تقصيره في حق الفقير.

وقد استقى الطنطاوي عناصر صورته من الواقع المحسوس الذي أضفى عليها من أحاسيسه ومشاعره وانفعالاته ما جعلها حية نابضة تشعرنا بالمعاناة والقشعريرة، والامتعاض والاستياء من تلك الحال.

فإذا قال الطنطاوي مخاطبا الأغنياء بعد ذلك: «فتداركوهم قبل أن يكفروا بالإنسان فينقلبوا حرباً عليه، حرباً ليس معها أمان، أشعروهم أنه لا يزال في الدنيا فضل وعدل ونبل، لِيَجُدْ كل واحد منكم على من هو دونه، لا بالمال وحده، بل بالعاطفة والتواضع والإنسانية...»[٢].. وجد استجابة أو قبولاً لدى أولئك الأغنياء الذين تفاوتت بينهم وبين الفقراء في مصر مسافات طاغية، تنذر بالخطر والخوف الشديد الذي استشعره الطنطاوي بحسه، وأراد أن ينقله إلى الأغنياء لعله يجد آذانا مصغية، فلما صمّت الآذان وقع ما كان يحذره.

(١) صور وخواطر. علي الطنطاوي، ص٢٤.

(٢) المرجع السابق، ص٢٤.

o p e i l a n d . c o m

فقد كتب هذه المقالة سنة ١٩٤٨م، أي قبل قيام الثورة، فكأنها كانت قراءة للواقع واستشرافا للمستقبل.

وقد تعانقت هذه الصور الجزئية في ترابط وتسلسل؛ لترسم هذه اللوحة التي تقطر شقاء وتنزف ألما.

فكلمة «يقعد على الأرض» و«على رصيف الشارع» تشير إلى الاستكانة والمهانة التي يعيش فيها. وكلمة «وبيده مرآة مكسورة»، تعميق لهذا الشعور المستكين؛ ليرى فيها ماذا؟ «وجهه والصابون القذر يغطيه» صورة مستبشعة لتغطية الصابون القذر لوجهه وما توحيه كلمة «قذر» من سوئه واختلاطه بما أفسده، ولكن ما الحال إذا كان صابون الفقير قذراً، وقد صنع الصابون لإزالة القذارة! وكلمة «وموسى الحلاق المغلولة تجري فيه» تجسيد لحركة تلك الموسى الرديئة في جريانها في هذا الصابون القذر!.

وكلمة «الدم ينبثق من نواحيه» تبعث في النفس صورة الدم وحمرته وخروجه مندفعاً من جنبات الوجه، وكأنه جزار يسلخ ذبيحته.

وكلمة «ثم مرّ على الوجه البشري ممسحة لا ترضونها أنتم والله لمسح أحذيتكم» تطلق الذهن ليتصور ويستحضر ما يشاء من بشاعة وقذارة هذه الممسحة التي يأنف الغني من أن تكون ممسحة لحذائه، وقد جعلها الفقير ممسحة لوجهه؛ لفقره وقلة حيلته.

وكلمة «البشري» تثير في النفس الشفقة والألم لهذا الفقير! إذ هو ممن كرم الله.! وهكذا توحي كل كلمة بما يعمق هذا الشعور بالمذلة والمهانة ويصور هذا الألم بالمعاناة والاستكانة.

وقد تكاتفت كل كلمة بدلالتها وإيحائها في تشكيل هذه الصورة الكلية الباكية المؤلمة، ورسم ملامحها التي تنطق بالألم وتعتصر بالمرارة وتجسد شدّة المعاناة.

«القعود على الأرض، وعلى الرصيف، المرآة المكسورة، الصابون القذر، الموسى المغلولة، الدم المنبثق من الوجه، الممسحة التي لا ترتضي لمسح الأحذية، العربة «الكارّو»، جلوس العشرة على متر من الخشب، الحيوان الهزيل، ترقيص المعد وزلزلة الأمعاء، قهواتهم اصطبلات، كراسيهم عيدان، أطباقهم القذرة يقدم فيها المرض!.

فهذه الكلمات مجسدة لأجواء المهانة، ناطقة بالمرارة، تعكس عاطفة الطنطاوي الإسلامية في استعطافه للقلوب، وإثارته لنوازع الشفقة والإحسان إلى هؤلاء الفقراء، سوى أن كلمة «ترقص المعدة» فيها من الدلال ما لا يتناسب مع أجواء شقاء الفقير ومعاناته التي قصد نقلها إلينا وإثارتها فينا!.

ولعله قصد ترفض معدهم أي تحطمها وتفرقها؛ إذ إن رفض الشيء: ما تحطم منه وتفرق»[1]، وهذا المعنى يتناسب مع هذه الأجواء ويتوافق مع السياق، ولعل الكلمة صحفت عن هذا الأصل.

ومن تلك الصور القريبة المستمدة من الواقع والتي أسهم الخيال فيها بدوره الإسلامي في تقبيح القبيح وتجميل الحسن وإبرازه، قوله في إحدى مقالاته:

(١) لسان العرب لابن منظور ج٣، ص١٦٨٩، دار المعارف.

«ذلك ليعلم طلاب الأدب أن الذي يخرج من القلب هو الذي يقع في القلب، وأن من يمتلكه المعنى الذي يكتب فيه، هو الذي يملك به الذين يقرؤونه، أما الذي ينحت الألفاظ من أعماق القاموس بالمعول ليكومها على الورق بالمجرفة، فهو عامل في إصلاح الطرق، وليس صائغا لجواهر الكلام...»[١].

هاتان صورتان: الأولى لصدق الأديب وأثر صدقه. والأخرى لاصطناع الأدب وعاقبته. وقد برع الطنطاوي في أن يبرز هذه المعاني المجردة في لوحة فنية جسدت المعنى وعمقت إحساسنا به، فلمسنا مواطن الجمال والقبح فيه.

وقد تعانقت الصورة الأدبية بأبعادها الحسية مع الصورة المجازية بأبعادها التخيلية، فبدا المعنى واضحا في الأذهان، مستقرا في الوجدان.

فكلمة يخرج من القلب... يقع في القلب، تجسد الحركة في ترددها بين سهولة الخروج وقوة الوقوع.. كما تبرز القوة من الصوت المستفاد من مدلول «كلمة يقع» التي تقرع الأذن بجرسها القوي قبل مدلولها الذهني؛ ولذا فتعبيره بلفظة «يقع» أدل في أداء المعنى على تمكن الشيء وكمال التصاقه.

وكلمة: «وأن من يمتلكه المعنى الذي يكتب فيه هو الذي يملك به

(١) من مقالة كتاب تعزية، صور وخواطر، ص٢٧٤.

obeikandl.com

الذيـن يقرؤونــه».. تصوير ذو أبعــاد شعورية وتخييليــة منحت المعنى طرافة ووضوحا وثراءً جسد فيه المعنى ـ المجرد ـ سيداً مالكا مسيطراً. والكاتــب الذي يستهويه هــذا المعنى ويؤمن به عبــد مطيع له لا يخرج عليه، ولذلك إن أراد منه شيئاً أخذه من وجهه الذي يرضيه ويعليه، فلا تجد له اعتداء عليه أو خرقا له أو تفلتا من نظامه.

هــذا المدلــول التخييلي المجســد للمعنى بدا في جمــال ووضوح؛ ليبيــن صلة الأديب الموهوب بمعناه الذي جعله مالكا له مسيطرا عليه؛ لإيمانه به.

فــإذا كانت هــذه هي علاقة الكاتب بمعناه مــن التجميل والتعظيم وحســن التأتي، لم يبخل عليه بدلالتــه، بل يمنحه من مكامنه ما يمتلك به قراءه.

فهذه الصورة بمدلولهــا الحسي والإيحائي جسدت المعنى للأدب الحقيقــي الجميــل الــذي لا يخرج إلا عــن إيمان صــادق، ووجدان حي متأثر؛ ليمتلك بعد ذلك القلوب.

وبمقابلــة هذه الصورة للأدب الحق، يرســم لنا الطنطاوي صورة أخــرى منفّرة للأدب الزائف، معتمدا على مدلول الكلمات وإيحائها في تصوير ثقله وسخافته.

فكلمة «ينحت» تعطي بمدلولها الذهني إحساساً بصعوبة هذا العمل ومشقتــه، كما توحي بصوت النحت المؤلــم للسمع باحتكاكه وضجيجه المستمر وصيغــة المضارع تدل على الاستمــرار. وبإسناد «النحت إلى

الألفاظ» يتحرّك الخيــال؛ ليجسد مدى مشقة ما يعانيه فاقد الموهبة، ومدعي الأدب من صعوبة وتعسر في صياغة الألفاظ وتأليفها، وما يكون لهذه الصياغة المجهدة من وقع سيئ، يؤلم الأذن ويكره السمع.

فــإذا كان هذا النحت من «الأعماق» دل على عظم المشقة والعناء في التأليف، لما تشكله لفظة الأعماق من البعد والاستقصاء.

وكــون هذا النحت للألفــاظ «بالمعول» الــذي لا يرتبط في الذهن إلا بالهــدم والتكسيــر، عمّــق الإحساس والشعور بصلابــة وجمود هذه «الصياغة» التي تحطم وتهدم الأذواق بجمودها وثقلها.

وكلمة «ليكومها» تدل بجرسها وحروفها وشكلها وحركتها على التداخل والاختلاط، قبل أن تدل بمدلولها الذهني على فقد التناسق والنظام.

فــإذا كان هــذا التكويم كتابة علــى «الأوراق» جسّد مــا كانت عليه الكلمات والألفاظ من تفكك وتنافر واختلاط...

فــإذا كان هذا التكويم «بالمجرفة» التــي استعارها «للقلم» بقرينة علــى «الأوراق» والمجرفة ترتبط في الذهن بجرف القمامة والأوساخ.. دل هــذا على ما تكــون عليه تلــك الصياغة حينئذ في كونهــا من قبيل مــا يجرف من قمامة وأوساخ، وحينها لا يسمــى هذا أديباً ولكن يسمى عاملا «لإصلاح الطرق».

فهــذه صورة متنامية أسهمــت كل كلمة فيها في تجسيد ثقل الأدب المصطنــع، وخطــورة أدعيــاء الأدب فــي تشويه صورتــه، التي تحطم الأذواق وتهدم الفكر.

وعلى ذلك يمكن القول: إن الطنطاوي في صوره لا ينقل عن الواقع فحسب، بل يضفي على صوره من أحاسيسه، ويخلع عليها من خواطره ومشاعره المفعمة بقيم الإسلام ما يبث فيها الحركة والحياة والطرافة والجدة.

كما يتضح من ذلك قدرة الطنطاوي الفائقة على تصوير المعاني الذهنية والعواطف النفسية، وإبرازها في صور حسية حية، تجلي المعاني المستورة وتكشف الخبايا المجهولة في صور آسرة تستهوي القلب، وتمتلك النفس، بما يبثه فيها من إحساس صادق وشعور حي.

وتصوير الطنطاوي وخياله ـ كما رأينا ـ وسيلة لإبراز تصوره الإسلامي ونقله، وتعميق الإحساس به؛ حتى أيقنا بذلك أن الخيال من الوسائل المهمة التي يعتمد عليها الداعية والأديب في توصيل أفكاره ومشاعره وعواطفه وتثبيتها في الأذهان؛ إذ إن تصوير المعاني الذهنية والخواطر النفسية في صور حسية يجعلها أكثر وضوحا، وأعمق تأثيرا، وأقوى حجة في تثبيت المعنى «لأنها حينئذ تخاطب الحس والوجدان وتصل إلى النفس من منافذ شتى: من الحواس، ومن الوجدان المنفعل بالأضواء والأصداء، ويكون الذهن منفذا واحدا من منافذها الكثيرة إلى النفس لا منفذها المفرد الوحيد. ولهذه الطريقة فضلها ـ ولا شك ـ في أداء الدعوة لكل عقيدة...»[١].

(١) النقد الأدبي أصوله ومناهجه. سيد قطب، ص١٣١.

وقد وظف الطنطاوي هذه الموهبة التصويرية واستفاد من طاقاتها التأثيرية في تحريك الوجدان، وتوجيه العواطف، لاستحباب الحسن وتجميل الفضائل والقيم والحث عليها، وتبغيض الرذائل بعرضها في صور كريهة منفّرة بارزة تلفت الانتباه وتنبه الإحساس.

وبهذا أتفق مع ما ذهب إليه الأستاذ محمد سعيد المولوي: في أن الطنطاوي ـ رحمه الله ـ قد استفاد من كل المناهج المتبعة في تكوين الصورة الفنية، والأدبية، والنفسية، والرمزية، دون اعتماد أو التزام بأي منها، حيث كان يهدف بصوره التأثير في المتلقي، ونقل أحاسيسه ومشاعره إليه، متوسلا إلى ذلك بكل طاقات الصورة من حركة، وتلوين، وتشخيص، وتجسيم، ممتزج بعواطفه ومشاعره بالقدر الذي يتناسب مع الفكرة، ويتلاءم مع تحقيق الهدف، مما أضفى على صوره جمالا وبهاءً، وأكسبها تأثيرا ونفاذاً..[١].

(١) الأدب الإسلامي «الصورة الأدبية الفنية في أدب علي الطنطاوي»، ص٤٥– ٤٨.

obeikandl.com

obeikandl.com

الخاتمة

لقد تبين مما سبق أن الطنطاوي قد عاش حياة طويلة خصبة، تنقل فيها بين حدائق الأدب، وتجارب الحياة، فامتزجتا في نفسه، وأفرزتا أدبا خاصاً، مزجه بحكمته، وحلاه بموهبته؛ لنرى فيه متعة الأدب وجمال الحياة؛ حيث كان يقوده في ذلك، فكر واع، واطلاع واسع، وحس يقظ، وقلم بصير، استوعب ثقافة الماضي وجملها بثقافة العصر، حتى سرت في أدبه روح جديدة من ينابيع متصلة، جمعت بين الأصالة والمعاصرة في تناغم جميل وامتداد رائع، نطل من نافذته على قضايا الماضي؛ لنستضيء بها في الحاضر والمستقبل.

ولعل هذا البحث ـ بعد هذه الجولات في أدب الطنطاوي ـ يكون قد كشف عن ملامح الاتجاه الإسلامي في أدب الطنطاوي، وحقق النتائج التي استهدفها وهي:

- التعرف على شخصية ذالكم الكاتب العظيم في سلوكه القويم، وعوامل بنائه، وتكوينه الفكري والأدبي، وذلك من خلال التعرف على ظروف نشأته، وما كان يدور في مجتمعه وبيئته.

- كشف العلاقة بين الأدب والدين، وفضح افتعال الخصومة بينهما، وصلاحية ترادف مصطلح «الأدب الديني» لمصطلح «الأدب الإسلامي».

obeikandl.com

- التعرف علـى أدب الطنطاوي من خلال عرض بعض نماذجه، والتي قـد تطـول رغبة مني فـي إعطاء صـورة واضحة لهـذا الأدب الفني بملامحـه الإسلاميـة، والذي يغـذي الفكر، وينمي الـذوق، ويرتقي بالأسلوب والإحساس.

- تلمس المظاهر الإسلامية لأدب الطنطاوي في ميادينه المختلفة، من خـلال التعرف على سيره في موضوعاته وأفكاره، وأسلوبه ووجدانه، وخياله الإسلامي الوثاب.

- وقـد تبين مـن هذا البحـث، أن الطنطاوي كان مثـالاً للأديب الإسلامي الحـق، الذي يسخر أدبه، وفكره، ومواهبه لإيقـاظ المجتمع وإنقاذه من انحرافاته، العقدية، والاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية، والفكرية.. حيث كان أديبا داعية، تفاعل مع مجتمعه، وعرض لأزماته وقضاياه حلولا إسلاميـة حقيقية وواقعية في صور فنية مؤثرة؛ ليأخذ بيده نحو النهوض والارتقاء، ويقفز به إلى الريادة والسعادة في ظل الإسلام.

- وأن الطنطـاوي كان مـن أوائل مـن دعا إلى عرضـ الإسلام عرضا سهـلا ميسرا، والتعريف به تعريفا موجـزا، يُسهّل العلم به على من يجهلـه، والإحاطة بجوانبـه وقضاياه، وكان أول مـن نقل الجمعيات الأهليـة إلى دمشق، وعمل على إقامتهـا، وكان من أبرز من جاهدوا الاحتلال قولا وعملا.

- كان الطنطـاوي فـي أدبه مصورا ومتأملا، أحسـن استغلال موهبته التصويرية الفائقة التي عكسـت صدق عاطفته، وقوة انفعاله، ورقة

إحساسه، وعمق إدراكه للمحسوسات والمعنويات في إبراز جمال الأشياء وقبحها وفق المنهج الإسلامي القويم الذي يرفع من شأن القيمة ويُجمّلها، ويُقبح الرذيلة ويُمقّتها؛ سعيا لرفع المجتمع إلى المثل الإسلامي الأعلى بعيدا عن الواقع الأدنى.

- تبين من هذا البحث إدراك الطنطاوي للإسلام على حقيقته الشاملة وانفعاله به، ومن ثم حاول تقديمه في صور فنية رائقة، بما وهب من طبيعة فنية، ونفس ذكية قوية استوعبت إيحاءات الإسلام وعطاءاته الضخمة في عالم الفن والتأثير البناء، فانطلق منه بشحنات إيمانية ضخمة، وطاقات إبداعية فائقة، أضفت على المعاني روحا جديدة، وألبست الأفكار أثوابا قشيبة، أججت المشاعر، وأيقظت العواطف، وغزت القلوب، وامتزجت بالنفوس، فكان الطنطاوي لذلك مثالا رائعا للأديب المسلم الذي يستطيع أن يخترق نياط القلوب، ويقتحم أسوار النفوس؛ ليجد له مكانا لا يشغله غيره؛ إذ يخاطب العقل ويحاور القلب بوعي تام لما تتطلبه النفوس من وسائل الإقناع والتأثير؛ ليقتلع منها ما يريد ويغرس فيها ما يحب.

- يلاحظ في أدب الطنطاوي سريان الروح الإسلامية، وغزارة التوجيهات واللمحات الإيمانية؛ حتى لنراها بارزة في ألفاظه، وصوره، وأفكاره، ومعالجته الواعية بما يدور حوله، وما يستحدث في فلكه من نظم وأفكار، فيضفي ذلك على أدبه حركة وحياة، تخطو بنا خطوات واسعة نحو بناء القيم، وتصحيح الفكر، وتقويم السلوك والإحساس بالجمال، حيث كان يقدم في كل ذلك النموذج الأمثل، والشكل الأنسب

obeikandl.com

فـي الوصول إلى تلك الغايـة، وتحقيق هذه النتيجـة؛ وليكوّن من ذلك ردا على التساؤلات والشبهات التي تنفي عن الأدب الإسلامي الارتقاء والنمو في جوانب التعبير والفن، شكلا ومضمونا.

- واتضح من خلال البحث ثبات الطنطاوي في التزامه المنهج الإسلامي المتكامـل في أسلوبه، وألفاظه، في خياله، ووجدانه، في اتزان عواطفه واعتدال رؤيته..؛ حيث كان ذا نفس قوية ثابتة لم تنصهر إلا في قالبها الإسلامي، فلم يكن يوما ردءاً لذوي النفوس اللينة التي تقبل الانصهار في كل قالب يدر عليها نفعا أو يدفع عنها ضررا! فأقنعنا بحقيقة انتساب الأدب إلى الإسلام وصحة المصطلح الحديث (الأدب الإسلامي).

- اتضحت براعة الطنطاوي الأسلوبية، وموهبته الأدبية؛ إذ نراه ذا قدرة مواتيـة، وأسلوب مطـاوع، ما إن يوجه اهتمامه إلـى شيء ـ مهما كان ضئيـلا خفيا ـ حتى يخرج لنا منه برؤية شاملة، لها تأثير في الحياة؛ ليمتع بذلك القارئ، ويلذ السامع ويرتقي بذوقه وفكره وسلوكه.

- اتضحت مرونة أسلوب الطنطاوي، ومطاوعته له في تلوينه الأسلوب، ومراعاتـه بـه لمستـوى المتلقين، فمرة يعلـو به إلى القـوة والمتانة والعمـق والرصانـة ليناسـب الخاصة، ومـرة يميل به نحـو السهولة والوضوح والقرب ليناسب العامة.

- أحسـن الطنطـاوي في أدبه توظيـف معارفه الثقافيـة، وتجاربه في الحياة، وطاقاته الإيمانية والنفسية في إبراز جمال الإسلام، وكمال منهجه، وعظمة رجاله، وثراء نتاجه، وعطاء تاريخه.

- ومن أهم ما يلفت الانتباه في أدب الطنطاوي، صدقه وقربه وحرصه على قارئه، فهو ينقل عن نفسه، ويقيد خواطره، ويظهر مكنون فكره بموهبة قادرة، تجعله واضحا قريبا صادقا، كأنه يحدثك ويحاورك، لا حجاب بينك وبينه حتى تكاد ترى صورته في أدبه، وتلمس هيئته في قوله، مما يقودك إلى حبه ويغريك بتتبع قوله، حتى لا تفضل عليه أحدا، وتحار في سر جمال أسلوبه وشدة أسره، متسائلًا: هل هو في سهولة العبارة، أم في لطف الإشارة، أم في اختيار الكلمة وارتفاع المعنى، أم في دقة الفكرة وجمال العرض، أم في صدق العاطفة وانفعال الوجدان، أم في قربه من النفس وبعده عن التعالي والكبر والتكلف!؟... وعند التأمل يبدو السر في جمال أسلوبه وشدة أسره في اشتماله على تلك الخصائص كلها.

- نجح الطنطاوي ـ بما قدمه في أدبه من فكر متزن وموضوعات حية ـ أن يرينا دور الأدب الإسلامي في تصحيح المفاهيم، وإصلاح خلل الحياة، وأن يرينا بأسلوبه العذب؛ جمال العربية ولذتها وكفايتها في تحقيق المطلوب، وأن ينقل إلينا أحاسيسه الإسلامية وانفعالاته القوية فيما تناوله من خلال وجدانه الصادق وشعوره اليقظ.

- نقل إلينا الطنطاوي مشاهده وخواطره بأبعادها وملامحها في نفسه، من خلال خياله الإسلامي، وذوقه الإنساني الذي يبرز الشيء على حقيقته دون زيف أو خداع؛ ليحقق الغاية المنشودة من الأدب الإسلامي في علاقته بالنفس والكون والحياة.

obeikandi.com

- ودل هذا البحث على أن اتجاه الطنطاوي وسيره الإسلامي في أدبه كان استجابة لمشاعره الصادقة ونفسه الممتلئة بعظمة الإسلام، وإحساسه العميق بقيمه ورجاله، وكان تلبية لحاجة مجتمعه إلى تدعيم القيم وبنائها، وتنمية الوعي الإسلامي وارتقائه، ليتسنى له الصمود والثبات في مواجهة الهجمات الشرسة، والمتغيرات التي زلزلت كيان الأمة الإسلامية ونالت منها منذ بدايات القرن الماضي وحتى اليوم.

obeikandl.com

توصيات البحث

أوصي بالاهتمام بالأدب الإسلامي وتشجيعه بشتى الوسائل، ودراسته للتعرف على ملامحه وخصائصه التي نأمل أن تقود الأدباء والمبدعين إلى تواصل هذا الاتجاه وامتداده، والتي لا يكون إلا بوجوده والتشبع به والتمثل له، حيث ضاعت كثير من المواهب لغياب هذا الأدب، وطمس اتجاهه، وانغماسها في الغث المطروح والسير في ركابه.

تشجيع دراسة الأدب الإسلامي وبخاصة النثر الفني لدوره القوي، ومنهجه القويم في توجيه الجماهير، وإمتاعهم وتثقيفهم وفق المنهج الإسلامي الذي يرتقي بالأذواق والعواطف والأفكار.

وإني لأهيب برجال الإعلام والتعليم الذين - أشادوا بكل تافه وصفقوا لكل ناعق، وفتحوا الباب لكل لاجئ - أن يعيدوا النظر فيما ينفع وما يضر؛ ليجعلوا الإسلام ميزانهم، ورجاله أركانهم، ليرفعوا أهل العلم والأدب الحقيقي الذين ترتفع بهم الأذواق والأفكار وتتحقق بهم الغايات والأهداف؛ وليطمسوا أهل الأدب الزائف الذي يزيف على الناس الحقائق بإفساد القيم وتحريك الغرائز وإثارة الشبهات.

ولما كان الإسلام يفرض على أتباعه تقدير الكفاءات والاستفادة بالقدرات البشرية الهائلة، ومنحها ما تستحق من الإجلال والتكريم،

فإني أقترح على الهيئات الإسلامية والوسائل الإعلامية والتعليمية أن تهتم بالإفادة من تراث الطنطاوي الزاخر: خطابة، ومقالة، وقصة، وتراجماً.

وأرى أن تقوم لجنة متخصصة بترجمة ما يمكن من تراث الطنطاوي وأمثاله إلى اللغات الأجنبية السائدة؛ ليكون في تناول المسلمين غير الناطقين بالعربية والمهتمين بالدراسات الإسلامية، لما لذلك من عظيم الأثر وكبير الفائدة إن شاء اللّه.

وأوصي القائمين على شؤون التربية والتعليم بضرورة الالتفات إلى كتب الطنطاوي وأمثاله.. التربوية والعقدية والتاريخية... والاستفادة بما رسمه فيها من صحة المنهج، وجمال العرض، وعذوبة الأسلوب، وإبراز الحقائق، ومناقشة الأفكار.

أن تُدرَج مختارات من أدب الطنطاوي للدراسة والنقد ضمن مناهج الأدب والنقد في المعاهد والمدارس والجامعات.

أن ينال الأدب الإسلامي الاهتمام الذي يتناسب مع مكانته ومنزلته وحاجة الأمة إليه، وخاصة في تلك الفترة التي تمادى فيها أعداء الإسلام في طغيانهم وعبثهم واتهامهم للإسلام ورجاله بالجمود والقصور؛ ليتسنى التصدي لباطلهم ومجابهة انحرافهم، بما يعيد الحق إلى نصابه، ويدفع الباطل إلى أصحابه.

أن تقوم الهيئات الإسلامية والمؤسسات الدعوية ـ كالأزهر، والأوقاف، ووزارة الثقافة... ـ بدعم المطبوعات والأعمال الإسلامية ـ

المسموعة والمرئية والمقروءة ـ للطنطاوي وأمثاله؛ لتصبح في متناول الجميع.

أن تفتــح نوافــذ جديدة لنشر الأدب الإســلامــي، وإبراز رجاله عبر الوسائـل المختلفة ـ الراد، والرائي، والصحف، والمجلات، والإنترنت ـ التي تواكب تطورات العصر، وحاجة المجتمع المسلم إليها.

وآخــر دعوانا أن الحمــد لله رب العالمين، وصلــى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وسلم.

obeikandl.com

obeikandl.com

المراجع

- القرآن الكريم.

١. أبو بكر الصديق ـ علي الطنطاوي.دار المنارة ـ جدة ـ ط٤. ١٩٩٤م..

٢. أثر الإسلام في الشعر الحديث في سورية ـ محمد عادل الهاشمي. دار المنارة ـ الأردن، ط١. ١٩٨٦م.

٣. أحمد بن عرفان الشهيد ـ علي الطنطاوي ـ دار الفكر ـ دمشق ط٢ ـ ١٩٧٩م.

٤. أخبار عمر وأخبار عبد الله بن عمر ـ علي الطنطاوي وناجي الطنطاوي ـ دار المنارة ـ جدة ـ ط١١. ١٩٩٩م.

٥. بغداد.. مشاهدات وذكريات ـ علي الطنطاوي ـ دار المنارة ـ جدة ـ ط٢. ١٤١١هـ ١٩٩٠م.

٦. بين الأدب والصحافة ـ فاروق خورشيد ـ دار الفكر العربي ـ ١٩٧٢م.

٧. بين الأدب والنقد ـ د/ محمد أحمد رجب البيومي ـ المطبعة الفنية ـ ط١. ١٩٩٧م.

٨ ـ تذكرة الدعاة ـ البهي الخولي ـ دار التراث ـ القاهرة ط ٨. ١٩٨٧م.

٩. تاريخ بغداد ـ أحمد بن علي أبو بكر الخطيب البغدادي ـ دار الكتب العلمية. بيروت (بدون).

١٠. تعريف عام بدين الإسلام ـ علي الطنطاوي ـ دار البشير ـ طنطا ـ مصر، ط٣ ـ ١٤١٥هـ ١٩٩٥م.

١١. جابر عثرات الكرام ـ علي الطنطاوي ـ دار الفكر ـ دمشق، ط٣ ـ ١٤٠١هـ ١٩٨١م.

١٢. دراسات في البيان القرآني من الوجهة الأدبية. د/عبد القادر رزق الطويل. دار البيان. القاهرة. ١٤١٤هـ ١٩٩٣م.

١٣. دراسات في النص الشعري. عبده بدوي. دار قباء. القاهرة (بدون)

١٤. دمشق صور من جمالها.. وعبر من نضالها. علي الطنطاوي. دار المنارة، جدة، ط٣. ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م.

١٥. ذكريات علي الطنطاوي. علي الطنطاوي. دار المنارة، جدة. ط١. ١٩٨٩م

١٦. رجال من التاريخ. علي الطنطاوي. دار البشير، طنطا، مصر. ط١ ١٩٩٨م.

١٧. سنن أبي داود. الإمام سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي. تحقيق/ محمد محيي الدين عبد الحميد. دار الفكر (بدون).

١٨. سنن ابن ماجة. للإمام/ عبد الله بن يزيد القزويني: ابن ماجة. تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي. دار الحديث. بيروت. ١٤١٤هـ ١٩٩٤م.

١٩. صحيح البخاري. الجامع الصحيح المختصر. للإمام محمد بن إسماعيل البخاري. تحقيق د/ مصطفى ديب البغا. دار ابن كثير، ط٣. ١٤٠٧هـ.

٢٠. صحيح مسلم بشرح النووي. دار الحديث. ط٣. ١٤١٩هـ ١٩٩٨م.

٢١. صور وخواطر. علي الطنطاوي. دار المنارة. جدة. ط٤. ١٩٩٨م

٢٢. صور من الشرق في إندونيسيا. علي الطنطاوي، ط١. ١٩٩٢م.

٢٣. عبد الرحمن بن عوف. علي الطنطاوي. دار الفكر، دمشق- بيروت، ط٢. ١٩٧٩م.

٢٤. عبد الله بن المبارك. علي الطنطاوي. دار الفكر. دمشق. بيروت، ط٢. ١٩٧٩م.

٢٥. عرس الشّهداء. علي الطنطاوي. تقديم وتعليق محمد عبد الله الخطيب. دار المنارة الحديثة، مصر. ط١. ١٤١٣هـ، ١٩٩٢م.

٢٦. علـم البديـع دراسة تاريخية وفنية ـ د/ بسيوني عبـد الفتاح بسيوني ـ مطبعة السعادة ـ ط١ـ ١٩٨٧م.

٢٧. علـي الطنطـاوي أديب الفقهاء وفقيـه الأدباء ـ مجاهد مأمـون ديرانية ـ دار القلم، دمشق ـ ط١ ـ ١٤٢١هـ ٢٠٠١م.

٢٨. فتح الباري بشرح صحيح البخاري ـ للإمام أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ـ المكتبة السلفية (بدون).

٢٩. فكر ومباحث ـ علي الطنطاوي ـ دار المنارة، جدة ـ ط٣ـ ١٩٩٠م

٣٠. فصول إسلامية ـ علي الطنطاوي ـ دار المنارة، جدة ـ ط٤ـ ١٩٩٠م.

٣١. فن الخطابة ـ د/ أحمد محمد الحوفي ـ دار نهضة مصر ـ ط١ـ ١٩٩٦م.

٣٢. فن المقال في الأدب العربي المعاصر ـ د/ إبراهيم محمد إسماعيل عوضين ـ ط٢ـ ١٤١٧هـ ١٩٩٧م.

٣٣ ـ في الأدب الإسلامي المعاصر ـ «دراسة وتطبيق» محمد حسن بريغش ـ مكتبة المنار، الأردن ـ ط٢ـ ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م.

٣٤. في محيط النقد الأدبي ـ د/ إبراهيم علي أبو خشب ـ (بدون).

٣٥. في ظلال القرآن ـ سيد قطب ـ دار الشروق ـ ط١١ ـ ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م.

٣٦. فـي النقـد الأدبي الإسلامي ـ د/ إبراهيم محمـد إسماعيل عوضين ـ مطبعة الشناوي ـ ١٩٩٣م.

٣٧. في سبيل الإصلاح ـ علي الطنطاوي ـ دار المنارة، جدة ـ ط٣ ـ ١٤١٠هـ ١٩٩٠م.

٣٨. قصص من التاريخ ـ علي الطنطاوي ـ دار المنارة، جدة ـ ط٦ ـ ١٩٩٦م.

٣٩. قصص من الحياة ـ علي الطنطاوي ـ دار المنارة، جدة ـ ط١ـ ١٩٩٠م

٤٠ ـ قصـة حيـاة عمـر ـ علـي الطنطـاوي ـ دار المنـارة، جـدة ـ ط١ـ ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م.

obeikandl.com

٤١. قيم حضارية في القرآن الكريم. توفيق محمد سبع. دار المنار، القاهرة (بدون).

٤٢. لسان العرب. جمال الدين بن منظور. دار الفكر. بيروت، ط١. ١٤١٤هـ ١٩٩٤م.

٤٣. الأدب الإسلامي قضية وبناء. د/ سعد أبو الرضا. عالم المعرفة. جدة، ط١. ١٩٨٣م.

٤٤. الأديب السوري علي الطنطاوي. د/ عبد الحميد حامد شعبان. دار الأرقم. مصر، ط١. ١٤١١هـ ١٩٩١م.

٤٥. الأحداث العربية في تاريخها الحديث. د/ طه شرف. شركة توزيع الجمهورية (بدون).

٤٦. الأسلوب، د/أحمد الشايب. مكتبة النهضة المصرية، ط٨. ١٤١١هـ، ١٩٩١م.

٤٧. الإصابة في تمييز الصحابة. الإمام ابن حجر العسقلاني. تحقيق علي محمد البجاوي. دار الجيل. بيروت ط١. ١٤١٢هـ، ١٩٩٢م.

٤٨. الإسلام في الأدب العربي العاصر. د/ إبراهيم محمد إسماعيل عوضين (بدون).

٤٩. الإسلامية والمذاهب الأدبية. نجيب الكيلاني. مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٣. ١٩٨٣م.

٥٠. الإمام النووي. علي الطنطاوي. دار الفكر. دمشق- بيروت، ط٢. ١٩٧٩م.

٥١. البيان والتبيين. لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، دار الكتب العلمية، بيروت. (بدون).

٥٢. التاجر والقائد. علي الطنطاوي. دار الفكر دمشق- بيروت. ط٣. ١٤١٠هـ ١٩٨١م.

obeikandi.com

٥٣. التصوير البياني.. دراسة تحليلية في مسائل البيان. د/ محمد موسى. دار التضامن، القاهرة. ط٢ ـ ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م.

٥٤. العقيدة الدينية وأهميتها في حياة الإنسان. د/ محمود حمدي زقزوق. هدية مجلة الأزهر لشهر رجب ١٤١٥هـ.

٥٥. الغزو الثقافي يمتد في فراغنا. محمد الغزالي. مؤسسة الشرق، عمان. الأردن ط٢ ـ ١٩٨٥م.

٥٦. الفاخر. لأبي طالب المفضل بن سلمة. تحقيق عبد العليم الطحاوي. الهيئة المصرية العامة (بدون).

٥٧. الفنون الأدبية وأعلامها في النهضة العربية الحديثة. أنيس المقدسي. دار العلم للملايين، بيروت.

٥٨. القصة القصيرة.. دراسة ومختارات. د/ الطاهر أحمد مكي. دار المعارف بالقاهرة، ط٥ ـ ١٩٨٨م.

٥٩. القاضي شريك. علي الطنطاوي. دار الفكر. دمشق- بيروت، ط٢. ١٩٧٩م.

٦٠. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر. ابن الأثير. المكتبة العصرية. بيروت ١٤١١هـ، ١٩٩٠م.

٦١. المجرم ومدير الشرطة. علي الطنطاوي. دار الفكر. دمشق- بيروت، ط٣. ١٤٠١هـ، ١٩٨١م.

٦٢. المستدرك على الصحيحين. للإمام محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري. تحقيق محمد عبد القادر عطا. دار الكتب العلمية. ط١ ـ ١٤١١هـ.

٦٣. المصطلحات الأدبية الحديثة. د/ محمد عناني. الشركة المصرية العالمية للنشر، ط٢ ـ ١٩٩٧م.

٦٤. المعجم الأوسط. الإمام أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني. تحقيق طارق بن عوض الله بن محمد، وعبد المحسن بن إبراهيم الحسيني. دار الحرمين. ١٤١٥هـ.

obeikandl.com

٦٥. المقال وتطوره في الأدب العربي المعاصر. د/ السيد مرسي أبو ذكرى. دار المعارف ١٩٨٢م.

٦٦. المنجد في اللغة والأعلام. فوزي المعلوف. ط٣٤. ١٩٩٤م.

٦٧. المنهج الإسلامي لدراسة التاريخ وتفسيره. د/ محمد رشاد خليل. دار المنار القاهرة، ط١ ـ ١٤٠٤هـ، ١٩٤٨م.

٦٨. النقد الأدبي أصوله ومناهجه. سيد قطب. دار الشروق. ط٧ ـ ١٩٩٣م.

٦٩. النقد الأدبي الحديث. د/ محمد غنيمي هلال. دار نهضة مصر ١٩٩٦م.

٧٠. الواقعية الإسلامية في الأدب والنقد. د/ أحمد بسام ساعي. دار المنارة، جدة. ط١. ١٤٠٥هـ.

٧١. مدخل إسلامي لدراسة الأدب العربي المعاصر. د/ إبراهيم محمد إسماعيل عوضين. مطبعة السعادة ط١. ١٤١١هـ ١٩٩٠م.

٧٢. مختصر تفسير ابن كثير. اختصار وتحقيق محمد علي الصابوني. دار التراث العربي ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م.

٧٣. مخارج الحروف وصفاتها. أبو الإصبع السماتي. تحقيق د/ محمد يعقوب تركستاني. ط٢. ١٤٢٠هـ ١٩٩١م.

٧٤. معجم الأعلام. بسام عبد الوهاب الجابي. دار الجفان والجابي، ط١ ـ ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م.

٧٥. معجم مصطلحات الأدب. مجدي وهبة. مكتبة لبنان (بدون).

٧٦. مقدمة في دراسة الأدب الإسلامي. د/ مصطفى عليان. دار المنارة، جدة ـ ط١. ١٩٨٥م.

٧٧. مقدمة في النقد الأدبي. د/ علي جواد الطاهر. المكتبة العالمية، بغداد، ط٨ ـ ١٩٨٣م.

obeikandl.com

٧٨ ـ مقـالات فـي كلمات ـ علي الطنطـاوي ـ ج١ ـ دار المنارة، جدة ـ ط٢ـ ١٤١٨هـ، ١٩٩٨م.

٧٩ ـ مقـالات فـي كلمات ـ علـي الطنطاوي ـ جـ٢ ـ جمع وترتيـب ـ مجاهد مأمون ديرانية ـ ط١ ١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م.

٨٠ ـ مع الناس ـ علي الطنطاوي ـ دار المنارة، جدة ـ ط٣ـ ١٤١٦هـ ١٩٩٦م.

٨١ ـ من حديث النفس ـ علي الطنطاوي ـ دار المنارة، جدة ـ ط٣ ـ ١٩٩٨م.

٨٢ ـ من نفحات الحرم ـ علي الطنطاوي ـ دار المنارة، جدة ـ ط٣ـ ١٩٩٧م.

٨٣ ـ من هنا نعلم ـ محمد الغزالي ـ دار الكتب الإسلامية ـ ط٥.

٨٤ ـ منهج العقاد في دراسة الشخصيات الإسلامية ـ علي خالد السداني ـ المكتبة العصرية ـ ط١ ـ ١٩٨٩م.

٨٥ ـ موسوعـة التاريخ الإسلامي ـ د/ أحمد شلبي ـ مكتبة النهضة المصرية ـ ط٣ ١٩٧٧م.

٨٦ ـ نحـو نظرية للأدب الإسلامـي ـ د/ محمد أحمد حمدون ـ إصدارات المنهل، جدة ط١ ـ ١٤٠٧هـ، ١٩٨٦م.

٨٧ ـ هتاف المجد ـ علي الطنطاوي ـ دار المنارة، جدة ـ ط٣ ـ ١٤١٧هـ، ١٩٩٦م.

٨٨ ـ هكـذا رباني جـدي علي الطنطاوي ـ عابدة المؤيد العظم ـ دار المنارة، جدة ـ ط١ـ ١٤١٩هـ، ١٩٩٨م.

٨٩ ـ وزارة بعنقـود عنـب ـ علـي الطنطـاوي ـ دار الفكـر، دمشـق ـ بيـروت ط٣ ـ ١٤٠١هـ، ١٩٨١م.

obeikandi.com

المجلات والصحف

١ـ مجلة الأدب الإسلامي ـ ع ـ ٣٤، ٣٥ ـ ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م.

٢ـ مجلة الرسالة، ع ـ ٧٤٢ ـ السنة ١٥ ـ ذي القعدة ١٣٦٦هـ، ديسمبر ١٩٤٧م.

٣ـ مجلة الفتح عام ١٢ (٥٨٩١) الخميس ١٦ ذي الحجة ١٣٥٦هـ.

٤ـ مجلة الصحوة الإسلامية ـ الهند ـ ع ـ ٣٦ السنة ١٣ محرم ١٤٢١هـ، إبريل ٢٠٠٠م.

٥ـ المجلة العربية ـ ع ـ ٢٦٧ ـ السنة ٢٤ ـ ربيع الآخر ١٤٢٠هـ، أغسطس ١٩٩٩م.

٦ـ مجلة المنهل ـ ع ـ ٥٦١ ـ رجب ١٤٢٠ هـ، أكتوبر ونوفمبر ١٩٩٩م.

٧ـ مجلة المشكاة ع ـ ١١ السنة ٥٣ ـ ذو الحجة محرم صفر ١٤٠٩ ـ ١٤١٠هـ

٨ـ مجلة فجر الإسلام ـ ع ـ ٢١ رجب شعبان.

٩ـ مجلة هاجر أم المسلمين ـ ع ـ ٥٠ السنة ١٥ ـ جمادى الأولى ١٤٢٠هـ، أغسطس ١٩٩٩ م.

١٠ـ صحيفة الشعب المصرية ع ـ ٢ يوليو ١٩٩٩م.

obeikandi.com

منشورات رابطة الأدب
الإسلامي العالمية

١- من الشعر الإسلامي الحديث، لشعراء الرابطة.

٢- نظرات في الأدب، أبو الحسن الندوي.

٣- ديوان «رياحين الجنة» عمر بهاء الدين الأميري.

٤- دليل مكتبة الأدب الإسلامي في العصر الحديث، د. عبدالباسط بدر.

٥- النص الأدبي للأطفال، د. سعد أبو الرضا.

٦- ديوان «البوسنة والهرسك»، مختارات من شعراء الرابطة.

٧- لن أموت سدى «رواية»، الكاتبة جهاد الرجبي.

٨- ديوان «يا إلهي»، محمد التهامي.

٩- يوم الكرة الأرضية «مجموعة قصصية» د. عودة الله القيسي.

١٠- ديوان «مدائن الفجر» د. صابر عبدالدايم.

١١- العائدة «رواية»، سلام أحمد إدريسو.

١٢- محكمة الأبرياء «مسرحية شعرية» د. غازي مختار طليمات.

١٣- الواقعية الإسلامية في روايات نجيب الكيلاني، د. حلمي القاعود.

١٤- ديوان «حديث عصري إلى أبي أيوب الأنصاري» د. جابر قميحة.

١٥- ديوان «في ظلال الرضا»، أحمد محمود مبارك.

١٦- في النقد التطبيقي، د. عماد الدين خليل.

١٧- الشيخ أبو الحسن الندوي، دراسات وبحوث، مجموعة من الكتاب.

١٨- القضية الفلسطينية في الشعر الإسلامي المعاصر، حليمة الحمد.

١٩- د. محمد مصطفى هدارة، دراسات وبحوث، مجموعة من الكتاب.

obeikandi.com

٢٠- معسكر الأرامل «رواية مترجمة عن الأفغانية» تأليف مرال معروف، ترجمة د. ماجدة مخلوف.

٢١- قصة يوسف عليه السلام في القرآن الكريم «دراسة أدبية»، محمد رشدي عبيد.

٢٢- قصص من الأدب الإسلامي «القصص الفائزة في المسابقة الأدبية الأولى للرابطة».

٢٣- أدب المرأة .. دراسات نقدية من بحوث الملتقى الدولي الأول للأديبات الإسلاميات.

٢٤- الآمال صارت آلامًا، رواية من الأدب التركي، تأليف د. نور الله كنج، ترجمة د. عوني لطفي أوغلو.

٢٥- نحو كوكب الحرية - رواية من الأدب الفارسي، تأليف محمود حكيمي، ترجمة عثمان أيزدبناه.

٢٦- مملكة النحل - رواية من الأدب التركي - تأليف علي نار، ترجمة كمال أحمد خوجه.

٢٧- أقباس - ديوان شعر - طاهر العتباني.

٢٨- الشخصية الإسلامية في الرواية المصرية الحديثة - د. كمال سعد خليفة.

٢٩ - ديوان «عقد الروح»، نبيلة الخطيب.

٣٠- المفسدون في الأرض - مجموعة قصصية - فاطمة محمد شنون.

٣١- فوهة الجرح - مجموعة قصصية - سكينة قدور.

٣٢- الأرض الجريحة - مجموعة قصصية - صورية إبراهيم مروشي.

٣٣- نوبة قلبية - قصص قصيرة من الأدب الأردي - ترجمة: د.سمير عبدالحميد إبراهيم.

٣٤- مخيم يا وطن - رواية - دعد رشراش الناصر.

٣٥- ديوان: «شدو الغرباء»، أسامة كامل الخريبي.

obeikandi.com

٣٦- ديوان: «إسراء.. لوادٍ غير ذي زرع»، محمود محمد كلزي.

٣٧- نحو منهج إسلامي للرواية.

٣٨- الشاعر والمفكر الإسلامي: محمد إقبال.

٣٩- مسرحيات إسلامية قصيرة.

٤٠- الكُنتي - مجموعة قصصية - د.عبدالرزاق حسين.

٤١- ديوان: «ياطائر الأيك» - أماني حاتم بسيسو.

٤٢- شعـراء مـن الأدب التركي - ثلاثة وثلاثون شاعرًا مختـارًا - د.عوني عمر لطفي أوغلو.

٤٣- الاتجاه الإسلامي في أدب الطنطاوي - وفا علي وفا.

obeikandl.com

obeikandl.com

صدر في سلسلة أدب الأطفال

١- غرد يا شبل الإسلام - شعر - محمود مفلح.

٢- قصص من التاريخ الإسلامي - أبو الحسن الندوي.

٣- تغريد البلابل - شعر - يحيى الحاج يحيى.

٤- مذكرات فيل مغرور - د. حسين علي محمد.

٥- أشجار الشارع أخواتي - شعر - أحمد فضل شبلول.

٦- أشهر الرحلات إلى جزيرة العرب - فوزي خضر.

٧- باقة ياسمين - قصص للأديب التركي علي نار - ترجمة شمس الدين درمش.

٨- أغنية للغيمة البعيدة - شعر - أحمد زرزور.

٩- مغامرات عصفور - قصص - عبدالجواد الحمزاوي.

١٠- شيماء - قصص - حسن الغشتول.

١١- مدينة الرحمة - مسرحية - محمود عبدالله محمد.

١٢- بيض من ذهب - مسرحية - لطفي عبدالمعطي مطاوع.

١٣- سجين الهاء والواو - مسرحية - محمد عبدالحافظ ناصف.

● تطلب من رابطة الأدب الإسلامي العالمية:

المملكة العربية السعودية: الرياض ١١٥٣٤- ص.ب ٥٥٤٤٦

هاتف: ٤٦٣٤٣٨٨-٤٦٢٧٤٨٢ فاكس: ٤٦٤٩٧٠٦

web page adress: www. Adabislami. org

E-mail: info@adabislami.org

obeikandi.com